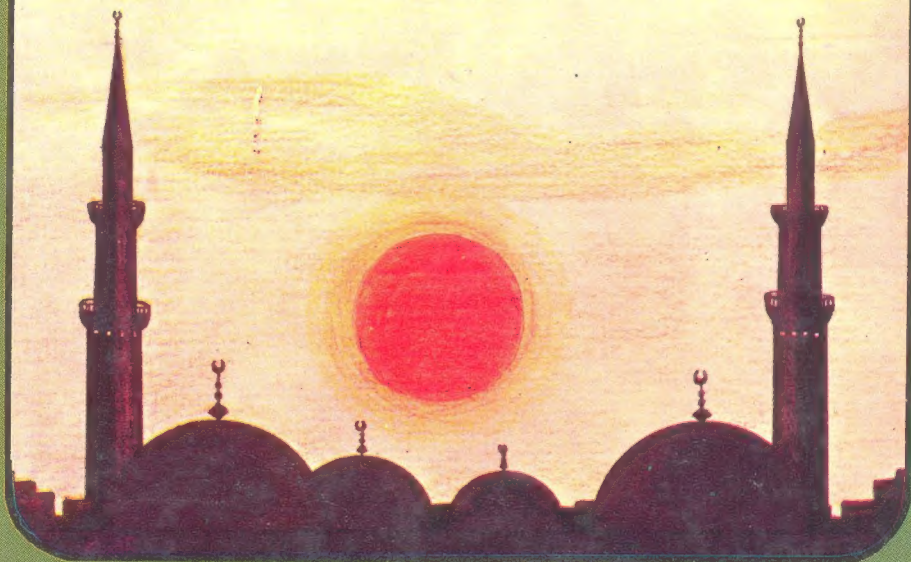




فِي سَبِيلِ تَوْكِيدِ وَعْدَةِ إِسْلَامِيَّةٍ

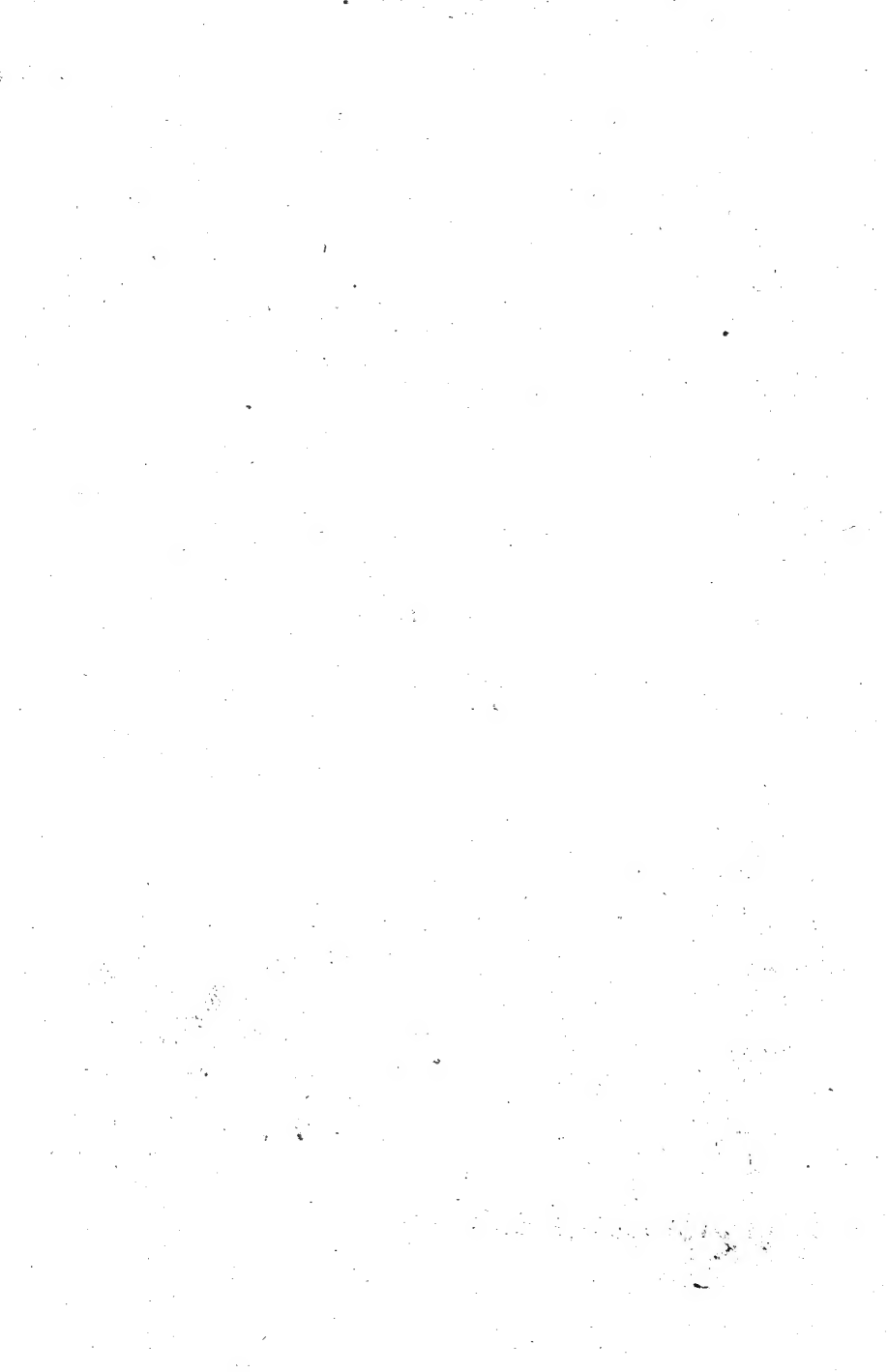
دَارُ الْمَكْتَبَةِ الْحَلَالِ



دَارُ مَكْتَبَةِ الْهَلَالِ - بَيْرُوتَ

7/11

الهمة في آداب اتباع الأئمة



في سبيل مؤسسه إسلامية

دلالة التبايع للأمة

تأليف

القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي
المتوفي سنة ٣٦٣ هجرية

تقديم وتحقيق

الدكتور مصطفى غابري

منشورات

دار مكتبة الهلال

جميع الحقوق محفوظة

ومسجلة للناسخ

١٩٨٥

دار ومكتبة الهلال

بيروت - حارة حريك - شارع المقداد

ص.ب. : ١٥/٥٠٠٣

مقدمة

الكتاب الذي يأخذ سبيله للظهور في سلسلة التراث الفاطمي من تأليف الفقيه الكبير - القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي - قاضي قضاة الدولة الفاطمية .

ومن القاء نظرة عامة على نصوص الكتاب يتبين أن مؤلفه عالج فيه ناحية هامة بالنسبة للعقائد الفاطمية ، وهي - الامامة - التي تعتبر بحق الدعامة الأولى في بنيان العقائد الاسماعيلية ، والركيزة التي قامت عليها هذه العقائد . فالامامة برأي الاسماعيلية لا تخرج عن كونها منسجمة ومتفقة وآراء عموم فرق الشيعة ، باعتبارها تأتي بالدرجة الثانية بعد النبوة ، وتوجب على الاتباع

والمستجيبين والدعاة الانضواء تحت لوائها ،
والاستقاء من ينبوعها الدفق الرقراق ، والاعتراف
بقدسيتها وطهارتها ، باعتبارها مصدر الفقه
والتشريع ، والقيمة على الشريعة ، والمحافظة على
تعاليم القرآن الكريم .

وما ورد في كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة ،
ينسجم تماما مع ما يقول به الاسماعيلية وينفي كل
ما جال في الأذهان من الغلو الذي اتهم به
الاسماعيلية ، وهو لا يخرج عن حد الاعتراف بأن
مرتبة النبوة هي أرقى مراتب عالم الدين ، ويأتي
بعدها مرتبة الامامة ، لأنها سابقة عليها في الوجود ،
باعتبارها تمثل السابق في عالم العقول ، بينما تمثل
الامامة التالي .

ويتضمن الكتاب ناحية هامة أولاها المؤلف
المزيد من الاهتمام وأفرد لها عدة فصول مستقلة ،
فجاءت معبرة عن التربية عند الاسماعيلية التي
يدخل في مضمونها واجبات الجماعات نحو الأئمة ،
وآداب الدعاة وفروض طاعتهم وولائهم ، مما
يرسم صورة كاملة عن مستوى الاخلاق وواجبات
المؤمن في حياته الدينية والاجتماعية وما يجب أن

يتحلى به من صفات سامية ، ينبغي أن تكون مثالا
للآخرين •

ومن الواضح لكل متعمق بالدراسات الاسلامية
ان عقائد الشيعة وتعاليم الاسلام بصورة عامة ،
لم تخرج عن حد القول بأن المرء لا يكون مسلما
مؤمنا الا اذا أطاع الله سبحانه وتعالى والرسول ،
ووصيه من بعده ، فهذه الطاعات الثلاث هي قوام
الدين والمنطلق الذي ينفذ منه المؤمن الى تسنم
المراتب السامية ، ولا يقبل عمل المؤمن الا اذا أقر
بالطاعة والتسليم للنبي وللإمام بالولاية والاستجابة •

لقد ترك لنا الفاطميون ودعاتهم في مختلف
العصور آثارا في كتبهم ، ونصوصا في الامامة جديدة
بالتنويه ، ولعل أهمها ما كتبه القاضي النعمان في
كتابه « التوحيد في الامامة » وأحمد النيسابوري في
كتابه « اثبات الامامة (١) » وأحمد حميد الدين
الكرماني في كتابه « المصاييح في الامامة (٢) »
والداعي أبو الفوارس أحمد بن يعقوب برسالته

(١) حققه الدكتور مصطفى غالب منشورات دار المجلس بيروت •

(٢) حققه الدكتور مصطفى غالب منشورات دار حمد •

« الامامة » وأبو يعقوب السجستاني في كتابه
« خزائن الأدلة » .

تحقيق الكتاب

حصلنا على نسختين خطيتين من كتاب « الهمة
في آداب أتباع الأئمة » الأولى رمزنا اليها بالحرف «م»
وعدد صفحاتها ١٠٥ صفحات قياس الصفحة
٢٤×١٣ سم وتشتمل كل صفحة منها على ١٥
سطرا . جاء في نهايتها كتبت بخط الفقير اليه تعالى
حسن بن علي الكاتيهاري سنة ١١٨٥ هجرية .
أما النسخة الثانية التي رمزنا اليها بالحرف
(هـ) فهي أحدث من النسخة الأولى ولكنها أدق
وخالية تقريبا من الاخطاء ، عدد صفحاتها ١٠٨
صفحات قياس الصفحة ١٤×١٣ سم وتحتوي كل
صفحة ١٦ سطرا . ورد في نهايتها أنها كتبت بخط
الملا يونس بن الملا رحمت علي من سورت في الهند
سنة ١٣٢٠ هجرية .

ونحن اذ نضيف هذا الكتاب الى سلسلة التراث
الفاطمي نشعر بالغبطة والسرور لاعتقادنا بأننا
نضع بين يدي القراء أثرا نفيسا من آثار الفاطميين
ونصا من النصوص المهمة ، لعله يزيل من النفوس

بعض الشكوك ومخلفات الافكار القديمة ، ويتمكن
القاريء من الوثوق على أهم ناحية في العقائد
الفاطمية .

والله نسأل أن يسدد الخطى ، ويطيب المسعى
وهو ولي التوفيق .

بيروت في ١٩٧٧/٧/١

مصطفى غالب

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله حمدا يبلغ حق حمده وغاية مزيده ،
وصلى الله على محمد رسوله وعبداه ، وعلى الأئمة
من ذريته الابرار المصطفين الاخيار . قال الذي
عنى بتأليف هذا الكتاب : كان السبب الذي دعاني
الى تأليفه ، أن بعض المنعمين علي أفادني كتابا في
غاية الاختصار يجمع ما فيه قدر خمس ورقات ،
ألف في آداب خدام الملوك وأتباعهم بلفظ موجز
مجمل ، وكل أمر بليغ مختصر ، تجمع الكلمة فيه
جماعا من المقاصد ، وتعبر اللفظة منه عن فنون
من الفوائد ، فوقفت منه على آداب جميلة رضية ،
والفاظ مشبعة جزيلة عذبة سنية ، ووددت أن لو
كان مؤلفها قصد بها أهلها ، ووضعها مواضعها ،
وأنه لو قد كان عرف الحق وأهله وجمع فضل ذلك

الى بلاغته وأدبه . فقلت ذلك النعم علي الذي لم
أزل أغترف من بحره وأصدر ، وأورد عن نهيه
وأمره ، فنبهني على حرف في ذلك الكتاب دل على
أن مؤلفه كان من أهل الولاية ، وأنه كان مكرها
مجبورا على صعبة من صحبه من ملوك الارض
وأهل اغتصابها ، فسكنت الى ذلك علما ، بأن الله
لم يمنح مثل تلك الآداب الرضية ، والبلاغة السنية ،
الا وليا لأولياته متدينا بامامتهم عارفا بحقهم ،
وفتق لي ما حباني به المنعم علي من ذلك ما أجريت
ذكر ذلك في هذا الكتاب ، فذكرت لذلك قول أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :
« علمني رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم
والحكمة ألف باب منها يفتح ألف باب » .

وقول جابر الجعفي : « أرفدني وصي
الأوصياء - يعني أبا جعفر محمد بن علي صلوات
الله عليه - فعلمني ألف كلمة كل كلمة منها تفتح
ألف كلمة » . فهذه من معجزات أولياء الله
وبراهينهم ، وفضلهم على من أودعوه شيئا من
حكمتهم ، ان القليل من ذلك يهديه ويفتح له كثيرا
مما أشكل عليه ، فرأيت صنيع ما كنت تمنيت لمؤلف
ذلك الكتاب أن يصنعه ، وفصل ما كان أولى به

عندي أن يقصده لما اتسع لي ذلك وأمكن بظهور
أمر أولياء الله واستحكام سلطانهم ، وضاق ذلك
عليه وتعذر لكونه تحت أمر المتغلبين في أزمانهم ،
فبسطت هذا الكتاب في آداب أتباع الأئمة (صلع)
وسميته « كتاب الهمة » إذ كان القصد بما فيه الى
ما يهم بفعله ، والهمة في اللغة ما هممت به من أمر
لتفعله ، ولذلك قيل رجل بعيد الهمة وقصير الهمة ،
ومنه سمي الملك هماما لعظم همته وبعدها .

وقد بسط كثير من المؤلفين كتباً كثيرة في آداب
خدام الملوك ، وذكروا فيها من الاخبار المرفوعة
الجارية والأبيات من الشعر المروية (١) السائرة ،
ما رأيت ترك ذكره على الجملة في هذا الكتاب رغبة
بالأئمة صلوات الله عليهم أن يذكروا بما ذكر به
ملوك الدنيا وأهل اغتصابها ، وسبق اليه من ألف
لهم رغبة فيها وفي حطامها ، واذ كان من ألف في هذا
المعنى لأتباع ملوك الدنيا اما ليبتغي بذلك نيلهم
أو ليذكر به في أيامهم ، وغرضي فيما أولفه من
ابتغاء ثواب الله عز وجل فيما ادعوه اليه من أجل
الأئمة وتوقيرهم وتعظيمهم وتعزيزهم ورعاية

(١) بلسغة (هـ) المذكورة .

حقوقهم وأداء أمانتهم ، والتأدب بالآداب الصالحة
لهم ، على اعتراف مني بالعجز ، وإقرار بالتقصير
عن بلوغ معرفة الواجب لهم ، بل لا أحيط علما في
ذلك بجزء لا يتجزأ منه ولا احتوى على مثل النقطة
من البحر قياسا به ، وكيف أتعاطى علم واجب من
لا أقدر على صفته ، بل لا يستطيع صفة من تولاه
وتقرب الى الله به ونال ما نال بفضله .

كما روينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات
الله عليه أنه قال لرجل من أوليائه ومواليه في
حديث طويل حدثه به في فضل المؤمن حذفت صدره
اختصارا قال فيه : « أو لا ترى يا أبا فلان أنك
مفرط في أمرنا ، واعلم أنه لا يقدر أحد على صفة
الله جل وعظم عن ذلك تبارك وتعالى ، فكذلك لا
يقدر على صفتنا ، وكما لا يقدر على صفتنا
فكذلك لا يقدر على صفة المؤمن ، ان المؤمن ليلقى
أخاه فيصافحه فلا يزال الله تبارك وتعالى ينظر
اليهما والذنوب تتحات عنهما حتى يفترقا ،
فكيف يقدر على صفة من هو كذا » ثم ذكر باقي
الحديث بطوله في فضل المؤمن وقدره عند الله عز
وجل .

فالآئمة صلوات الله عليهم فوق الخلق بما لا يدرك به علما ، والذي يجب لهم أعظم وأجل من أن يدرك بعلم وعقل ، وإن كان الله عز وجل لا يكلف العباد الا ما عقلوه وعلموه ، فانه لم يرض لهم بالجهل بل افترض على من لم يعلم التعلم والسؤال ليرتقوا في الاسباب ، ويتنافسوا في الأحوال ، وما عسى أنه ذكر وألف في تعظيم ملوك الدنيا وآداب أهلها ، فأولياء الله أحق به وهو أقل ما يجب لهم ، وأتباعهم أجدر باستعماله فيهم وفي أنفسهم ، خلا ما جاوز الحق من ذلك وتعداه ، فانه يرفض من قولهم ، وما كان من أدب صالح وسنة رضية فأهل الحق أحق به منهم وهي ضالتهم عندهم ، ينبغي أخذها منهم ولا يزري بها عند أهل الحق كونها في أيدي أهل الباطل ، فقد ذكر لي المنعم الذي فتق لي هذا المعنى وفتح لي هذا الباب يوما ، أن بعض ما أسر اليه سرا أفشاء وأذاعه عليه ، وفيه ما يخاف من أجله فأعظم ذلك وقال : لقد أنف أهل البطالة والخلاعة والمجانة (١) من افشاء السر ونقل النميمة حتى قال : لقد قيل عن بعضهم

(١) بنسخة (هـ) والمجون .

انه كان مع جماعة منهم في مجلس باطل ولهو
وشراب فناوله أحدهم غصن نمام حياه به فتنكر
عليه وقال هذا فراق بيني وبينك وقام عن المجلس
فقام اليه الآخر ، فقال : ولم هذا يا سيدي وجعل
يترضاه ويعتذر اليه ، فقال : تحسبني بالنمام
كانك رأيتني من أهل النميمة ، ثم قال ومثل هذا
يؤخذ وان كان من مثل هؤلاء يعني أن الذي يؤخذ
منه عنهم استعظام هذا لأمر النميمة أن يشار اليه
بهذه الاشارة الخفية فضلا عما سواها ، ويلغى
ويعرض عن قوله عن سوء الظن بصاحبه اذ كان
سوء الظن في الدين منهيًا عنه • فلما كنت لا أبلغ
وان بالغت في الاطناب حقيقة ما كان ينبغي أن
يشتمل عليه هذا الكتاب رجعت فيه الى الاختصار
على التحقيق والاختصار •

ثم رأيت طبقات أتباع الأئمة يكثر عددها
كالأهل والدخلة والحشم وخاصة العبيد والاماء
والخدم والأقارب وأهل الديانات من الأولياء
والقضاة والكتاب وذوي الكفايات وأصحاب الدواوين
وأهل الامانات والعمال والجباة والسعاة ورجال
الحرب من الأولياء والانصار وطبقات العبيد
والأجناد والصناع والباعة والتجار الذين يلون

أمورهم ويعملون لهم ، والرعايا الذين يتصلون
بأسبابهم ، وكل طبقة ممن ذكرت ومن لم أذكر
تتفرع على طبقات ، ويتصرف أمرها على وجوه
وجهات ، فلو قصدت لتفريعها وذكر ما ينبغي أن
يتأدب به كل طبقة منها لطال القول واتسع وتشعب
(الموضوع) وتفرع ، ولكن رأيت أن أجعله
(أبوابا) ، يحتاج الى أكثرها أهل كل طبقة لأداء
قروضهم ، وبعضها مقصورة على آداب بعضهم ،
والله استهدي وإياه أستعين وعليه أتوكل .

ولم أختصر هذا الكتاب وان كنت وصفته
بالاختصار كاختصار الكتاب الذي قدمت ذكره ،
ولا أطلته اطالة ما يمل قاريه (١) ويتعب كاتبه ،
ولكني قربته من الاختصار وأعفيت من التطويل
والاكثار لأن كل بائن عن شكل الاعتدال خارج عن
حد الكمال ، فليس كل الناس يفهم الموجز من
الكلام ، ولا كثير ممن يفهم ذلك يتعب ذهنه
بالفوص في تطلب معاني دقائق الكلام ان لم يجده
بينما معروفا وظاهرا مكشوفاً ، ولو استغنى بشيء
من اللفظ عن البيان لاستغنى عنه القرآن ، فقد

(١) بنسفة (م) قارئة .

قال الله وهو أصدق القائلين: « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (١) » فالبيان هو العبارة ، والحذف والاختصار كالرمز والاشارة ، وقل ما تكون الفائدة سيما لمن لم يتسع في العلم فيما لم يوضعه البيان ، ولذلك قال بعض من يعنى بالكتب ما قرأت كتابا كبيرا قط أو متوسطا الا أفدت (٢) منه فائدة وما أحصى ما قرأت من صفار الكتب فلم أfd منها شيئا •

ولا أشك أن فائدة هذا الكتاب المختصر الذي قدمت ذكره لم تكن الا عن بركة من أفادنيه ، لا عن مؤلفه ولا ما ألف فيه ، ومن أحسن التطويل والاكتثار أحسن لا محالة الحذف والاختصار ، ولو شئت أن أجعل هذا الكتاب في كيفية الكتاب الذي وصفته أو في مقدار نصفه أو في أقل من ذلك لفعلت حتى لو أردت أن أقتصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت ، فأمرت بتقوى الله ففيها جماع كل خير الدنيا والآخرة ، وكذلك لو شئت أن أجعله في الطول كأطول كتاب جمع لفعلت ، ولكني توسطت

(١) سورة النمل ٤٤/١٦ •

(٢) بنسفة (١٥) استلغدت •

به بين الأمرين ، وجعلت له حالا بين الحالين ، كما
قال بعضهم لشاعر مدحه بشعر فيه مائة بيت شبيه
بتسعين بيتا ومدحه بعشر أبيات « ما ألقىت معنى
لطيفا ولا قولاً بديعاً إلا شغلت به تشباب شعرك
عن مدحنا » فمدحه بعد ذلك بشعر شبيه بقسيم
بيت منه ومدحه بباقيه فقال : « لا ذا ولا ذاك ولكن
أمرأ بين أمرين » فلهذه المعنى قصدت وعن الاكثار
ومطلب الاختصار رغبت ، والله استهدي وإياه
أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة من اعتقاد ولايتهم
والتدين بامامتهم وطاعتهم صلوات الله عليهم

هذا باب ما يلزم جميع العباد ، ولو تقصيته
لخرج عن حد هذا الكتاب ولاحتاج الى افراد كتاب ،
ولكني اذكر منه طرفا ينبغي أن يذكر ، اذ كان
اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بامامتهم وطاعتهم
أصل ما يجب أن يبنى عليه هذا الكتاب وأسه ،
وأول ما ينبغي أن يبدأ بذكره فيه ويفتح به .

واذا كان من عرف حقهم واعتقد امامتهم رعى
من واجبهام وامثل من أمرهم ما يرى أنه فرض الله
عز وجل عليه واجب وحق لازم ، كانت جلالتهم في
صدره أعظم ، وهيبتهم في عينه أكبر من هيبة
ملوك الدنيا وجلالتهم في صدور أتباعهم وأعينهم ،

اذ كان الله عز وجل تباركت وتقدس أسماؤه قد فرض طاعتهم على عباده في كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (صلعم) ، فقال وهو أصدق القائلين: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » (١) ، فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون في جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد امامتهم ، اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ، فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذي جعل الجنة ثوابه (٢) ، ويجتنب ما يوجب سخطه الذي جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ، ويجهدا فيما وافقهم وطابق هواهم وأكسبهم رضاهم فيما أحبه وكرهه وسره وأسخطه ، وليرجع فيما أسخطه من ذلك الى رياضة نفسه عليه وسياستها فيه ، حتى يؤول سخطه في ذلك الى الرضا وكراهيته الى المحبوب (٣) ، ويستغفر الله لما عرض له في ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة

(١) سورة النساء ٥٩/٤

(٢) بلفظة (هـ) ثوابا

(٣) بلفظة (م) محبوبة

لا تكون الا بالاقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه
ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبوه ويكره ما
كرهوه ، ويعتقد ذلك قولاً وفعلاً ونية وعملاً ولو
كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله
وولده ، ويسلم لهم في كل الامور تسليم مطيع
لا تسليم مجبور ، يعلم أنه ان لم يفعل ذلك وخالفه
أو شيئاً منه لم يكن مؤمناً لقول الله جل من قائل
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسليماً (١) » ، فهذا فرض من الله جل
ذكره على المؤمنين لرسوله الذي قرن طاعته بطاعته
وطاعة الأئمة بطاعته ، وجعلهم الخلف للأمة من
بعده صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الابرار
المصطفين الاخيار •

فعلى هذا الوزن (٢) والترتيب يلزم في الفرض
الموجب من التعزيز والتوقير والطاعة والتسليم
بالنية والقول والعمل والقبول لكل امام على أهل
عصره ما كان يجب منه لرسول الله صلى الله عليه

(١) سورة النساء ٦٥/٤ •

(٢) بنسخة (هـ) النسق •

وعلى آله على أهل زمانه ودهره ، وان كانت درجة النبوة أعلى وأجل وفوق درجة الامامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة فان الطاعة واحدة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده فلم يقبل من مطيع طاعته الا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه ، ولم يدخل في جملة المؤمنين به الا من سلم لمن أمر بالتسليم اليه من أصفياه .
وفيما ذكرناه في هذا الباب ما فيه كفاية لأولي النهي والألباب اذا تدبره من وفق لفهمه حق تدبره ان شاء الله .

(٢)

ذكر وجوب مودة الأئمة

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (١) » فستل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : من هم ؟ فقال علي وفاطمة والحسن والحسين . وقال صلى الله عليه وعلى آله : « من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني » وقال : « لا يحب عليا الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق » .

فكانوا يقولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله (صلح) الا بمحبة علي ومودته وتفضيله ، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى

(١) سورة النورى ٢٢/٤٢ .

آله على مودته من كان في عصره ، وحضر من
بحضرته على ذلك اذ سأله عنه ، وافترض الله
عز وجل له ذلك على كافة الناس ، وذلك واجب
للأئمة من ذريته في كل عصر وزمان على أهله ،
فقد سئل أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله
عليه عن قول الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه
أجرا الا المودة في القربى » فقال : والله هي فريضة
من الله واجبة على جميع العباد لمحمد صلى الله
عليه وعلى آله فينا أهل بيته » وقال عليه السلام :
« من أحبنا حشره الله معنا يوم القيامة » ثم قال
وهل الدين الا الحب • قال الله عز وجل : « وحبيب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » • وقال : « ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم » • وقال علي عليه السلام لبعض شيعته :
« ألا أخبركم بالحسنة التي من جاء بها أمن من
فزع يوم القيامة وبالسيئة التي من جاء بها أكب
الله وجهه في النار » قالوا : بلى يا أمير المؤمنين
قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا •

فينبغي لمن عرف الأئمة اخلاص المحبة لهم
واعتقادها لله ولمكانهم منه لا لغرض دنيا ينالها
منهم ، فان من كانت مودته لشيء زالت وانقطعت

مع زواله وانقطاعه ، فلتكن مودته لهم عند المنع
كمودته لهم عند العطاء ، وفي الضراء بحسبها في
السراء ، لأن ما كان لله عز وجل خالصا من الاعمال
لا تغيره صروف الدنيا ولا تنقله من حال الى حال ،
وانما تنقل وتغير حوادث من الاعمال ما كان لها ،
قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « من أحبنا
فليخلص لنا المحبة كما يخلص الذهب الابريز .
قال علي صلوات الله عليه : « لو ضربت المؤمن
على أنفه ما أبغضني أبدا ، ولو صببت الذهب
والفضة على المنافق ما أحبني أبدا » فمن أحب
أولياء الله فليخلص لهم المحبة ، وليعطها حقها فان
حق المحبوب على محبه أن ينصحه ولا يفشه ، ويؤدي
اليه الامانة ولا يخونه ، وينصره ولا يخذله ، ويطيعه
ولا يعصيه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له
ما يكره لها ، ولا يخالف ظاهره باطنه ، ولا سره
علانيته ، ولا غيابه مشهده ، هذه حقيقة محبة
المتحابين في الدنيا ، فكيف بمن أحب من أحبه الله ،
وعلم أن الله يطلع ويعلم ما يسره ويبيديه ويظهره
ويخفيه ، فعقيق عليه أن يجعل من نفسه على
نفسه في محبته رقبيا عليه في علانيته وظاهره (١) ،

(١) نسخة (م) وباطنه .

وخلوانه وسرائره •

فاخلصوا أيها المؤمنون لأوليائكم المحبة
لتستنجزوا بها من فضل الله فضل ما عنده ، ففي
ما ذكرت في هذا الباب بلاغ لمن وفق للصواب •

(٣)

ذكر أداء الأمانة للأئمة صلوات الله عليهم
والنصيحة لهم والتحذير من خيانتهم وغشهم

قال الله عز وجل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات الى أهلها (١) » . وقال : « فان أمن بعضكم
بعضا فليؤد الذي أوتمن أمانته (٢) » . وقال :
« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٣) » . وقال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « لا تخونوا
ولا تغفلوا ولا تغدروا » . وقال : « الامانة مؤداة
عليكم » . وقال : « من غشنا فليس منا » . وقال :
« دماؤكم وأموالكم حرام » .

(١) سورة النساء ٥٨/٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٣/٢ .

(٣) الانفال ٢٧/٨ .

وقال علي (ع) ، لبعض من أوصاه : « أد أمانتك
الله عليه : » أدوا الامانات الى الاحمر والاسود وان
كان حروريا ، وان كان شاميا وان كان أمويا ،
وان كان عدوا ، أدوا الامانة ولو الى قاتل الحسين
فأمر الله جل ذكره ورسوله والأئمة من أتباع أهل
بيته (صلح) وعليهم أجمعين أمرا مجملا ومفسرا
بأداء الامانة الى من كانت له من ولي أو عدو مؤالف
أو مخالف . وذلك أن حق أداء الامانة انما يلزم
المؤمن في نفسه ، وأمانته فيها يرعى ودينه بأدائها
يحفظ ، ونفسه بحفظها ينزه ، وان خانها فأمانته
يوتغ ، وعرضه يشين ، ودينه يهتضم ، ومروته
يضيع ، ليس لمن ائتمنه ولا عليه من ذلك شيء [من
أن كان] أكثر من ذهاب حطام عاجل ان خانه المؤمن
أو توفيره عليه ان هو أداه اليه .

فحقيق على من خاف ربه ونزه نفسه أن يؤدي
أمانته ، واذا كانت الامانة واجبا ادؤها الى سائر
الناس فحق أمانة الأئمة أوجب ، والامر بأدائها
أكد وخيانتهم أغلظ ، والاثم في ذلك أشد ، ألا
ترى قول الله جل من قائل : « يا أيها الذين آمنوا

لا تخونوا الله والرسول (١) « فان من خان رسول الله (صلح) فقد خان الله كما قال الله جل من قائل : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (٢) » وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » • وقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٣) » فطاعة أولياء الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ومن خانهم فقد خان الله ، ومن وفي (٤) لهم ولا تخن من خالك » • وقال جعفر بن محمد صلوات فقد وفي طاعة الله ، ومن أدى أمانتهم فقد أدى أمانة الله ، وان كانت الخيانة منهيها عنها على العموم ، فخيانة أولياء الله أعظم جرما ، وأغلظ اثما ، ومؤدي الامانة اليهم أجزل ثوابا وأجرا ، لأن الله جل ثناؤه لم يضاعف العقوبة لمعاصي شيئا كما ضاعف له الثواب في الطاعة عليه ، قال وهو أصدق القائلين : « يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا

(١) الانفال ٢٧/٨ •

(٢) الفتح ١٠/٤٨ •

(٣) النساء ٥٩/٤ •

(٤) بنسفة (م) ومن اوفى •

كريما (١) » .

فاما خيانة الأئمة من الكبائر فلأن قتل النفس المؤمنة من الكبائر ، وقتل النبي أعظم من ذلك وأكبر ، والخيانة على الانبياء واءئمة أغلظ وزرا ، كذلك صنيع الخير عندهم أكثر أجرا . وقد نهى رسول الله (صلع) عن ضرب البهائم في غير حق ، وأن تحمل فوق طاقتها وقال : « رأيت صاحبة الكلب في الجنة » وهي امرأة مرت بكلب يتلظ على بئر فلم تجد ما تستقي له به ، فربطت خفها بخمارها واستقت له ، فسقته فففر الله لها بذلك وقال : « رأيت صاحبة الهرة في النار » وهي امرأة ربطت هرة لها وتركها لا تطعمها ولا تدعها تأكل من حشائش الأرض حتى ماتت فعذبها الله بذلك . وقال : « في كل كبد حري رطبة أجر » والأجر في صنيع المعروف الى الانسان أفضل ، وهو في المؤمن أجل .

وكذلك صنيع السوء في الوزر ، وعلى هذا الوزن ما قدمناه من مقدار ذلك في أولياء الله . فاحفظوا أيها الناس أمانتكم ، ما قل منها وما كثر

وما صغر وما كبر ، فان اسم الخيانة يقع على
القليل والكثير منها ، والخيانة في القليل اثم وندالة ،
وهي في الكثير أعظم اثما وتباعة (١) .

واعلموا أن الخيانة لا تكون في المال خاصة
فقط ، بل هي في كل أمر من الامور عامة ، وفي
القول والعمل والنية . وهذا الباب يلزم أهل كل
طبقة من طبقات أتباع الأئمة (صلح) وغيرهم
للأئمة ولمن سواهم لأن أداء الامانة والنصيحة لازم
لكل مسلم . قال رسول الله : « الدين النصيحة لله
ولأوليائه وللمؤمنين » وليس في ترك النصيحة لله
ولأوليائه رخصة ولا عذر لتارك ذلك على حال من
الاحوال .

قال الله عز وجل : « ليس على الضعفاء ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من
سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك
لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم
تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٢) »

(١) في نسخة (م) وجرما .

(٢) التوبة ٩١/٩ ، ٩٢ .

فلم يجعل الله عز وجل لهم في ترك النصيحة رخصة ،
 كما جعل لهم فيما لا يستطيعونه مما ذكره ، كما
 لم يجعل أيضا في اعتقاد المحبة بالقلب رخصة قال
 الحسين بن علي (ع) : « من أحبنا بقلبه وجاهد
 معنا بلسانه ويده فهو معنا في الرفيق الأعلى ، ومن
 أحبنا بقلبه وذبح عنا بلسانه وضعف أن يجاهد
 معنا بيده فهو معنا في الجنة دون ذلك منزلة ، ومن
 أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بلسانه ويده فهو
 معنا في الجنة دون ذلك ، وليس دون ذلك شيء »
 فالنصيحة والامانة لأولياء الله أقل واجبه ، فمن
 خانهم وغشهم فقد انسلك من ولايتهم ، فاحذروا
 عباد الله الغش والخيانة لهم ، فوالله لو لم يرغب
 الراغب في الامانة والنصيحة لهم الا في دوام عاجل
 نعمة الدنيا وشرف ذكرها وأمن عقوبتها ، لكان
 جديرا بذلك ، فكيف بثواب من الله لا عوض له
 منه يرجوه ، وعذاب لا عاصم له منه يخافه ، ولقد
 رأيت كثيرا منهم أوباش الناس وعوامهم ومن هو
 أقرب شبيها بالبهايم منهم بالناس كالصناع والمضاريين
 والحمالين يؤدون ما ائتمنوا عليه ، مع فقر مدقع
 وحاجة شديدة ، لا لدين ولا لمعرفة ولا لاعتقاد
 ولكن خوفا من أن يخونوا أو ينكروا ما صار اليهم

فيتناذرهم الناس ولا يستعملونهم ، فكيف بمن فيه
حشاشة (١) من دين أو أدب ، وله في حظ نفسه
حسن نظر ، لا يحذر ان خان سقوط المنزلة ،
وانقطاع مادة الخير عنه ، ان لم يكن ممن يرجع الى
ثواب يرجوه أو عذاب يخافه .

(١) في نسخة (م) حساسة .

(٤)

ذكر توقير الأئمة وتعزيزهم واجلالهم وتعظيمهم صلوات الله عليهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم واجلالهم مما
أوجبه الله عز وجل على العباد لهم ، اذ قرن طاعتهم
بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه ، وحرس (١)
عباده عليهم وأمرهم برد ما اختلفوا فيه اليهم ،
فما كان يجب لرسول الله (صلح) من التعظيم
والتعزيز والتوقير على أهل عصره ، يجب لكل امام
على أهل دهره اذ كانت طاعتهم مقرونة بطاعته
وان علت منزلة النبي (صلح) وارتفعت درجته
لارتفاع درجة الرسالة على درجة الامامة ، فان
تعظيمهم من تعظيم الله جل وعز الذي أقامهم

(١) في نسخة (هـ) حراسه .

لخلقه ، كما كانت طاعتهم موصولة بطاعته ، ولأنه جعلهم القائمين بأمره والدعاة اليه وأهل الدلالة عليه ، فينبغي لكافة الناس تعظيمهم واجلالهم في أعينهم وصدورهم والتذلل والتواضع لهم ، ورفعهم في القلوب والابصار عن أقدار ملوك الدنيا وجبابرتها ، واحلال مهابتهم في النفوس فوق محل سلاطين الدنيا فيها ، واعتقاد ذلك التعظيم والاجلال والهيبة والاكبار لله الواحد القهار لمكانتهم منه وجلالتهم لديه .

واذا نظر أهل الدنيا الى ملوكهم بعين تعظيم ما عندهم من حطامها ، وهيبة مخافتهم من سطواتهم فيها ، فليتنظر أتباع الأئمة وأولياؤهم اليهم بعيون من يرى عظمة الامامة فيهم ، ويعرف سيماء الحكمة في وجوههم ، وينظر الى هيبة سلطان الدين لديهم ، وينزلوهم في قلوبهم بمكانهم من الله ، ويشعروا مخافتهم منه في ترك ما أوجب من تعظيمهم ، ويخافوا تضييع ذلك على أنفسهم ، وليكن نظرهم اليهم نظر فكرة في ذلك واعتبار ، ورغبة فيه استبصار ، لا نظر غفلة ولهو ونسيان وسهو ، فلمثل ذلك جاء في الحديث المرفوع : « ان النظر الى الامام عبادة ، والنظر الى المصحف عبادة » ليس ذلك على نظر

السهر والغفلة ولكنه في نظر التدبير والتفكر ، كما أن الناظر في المصحف بلا تدبير لما فيه لا فائدة له في النظر اليه ، قال الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (١) » . وكما جاء في الحديث المأثور : « ان قراءة آية في تدبر خير من قيام ليلة » يعني بقراءة القرآن من غير تدبر .

وكما في الحديث في صفة الخوارج « أنهم يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم » يعني أنهم يهذونه بالسنتهم ولا يتدبرونه بقلوبهم ، وهو لا يصل إليها ولا يجاوز تراقيهم ، وعلى ذلك ينبغي لمن سمع كلام الأئمة أن يصغي اليه ، وينصت له حتى يستوفيه ثم يتدبره حق تدبره ، اذ كان كلامهم مأخوذاً من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لأن طاعتهم بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وعلى آله موصولة ، فما كان من كلامهم من أمر تلقاه من يسمعه أو ينتهي اليه بالقبول ، وما كان منه من نهى تناهى عنه ذوو النهي والعقول ، وما كان منه من أخبار ميز وانتقد على التحصيل ، فإن تحت كل لفظة من ألفاظهم حكمة ، وفي كل

(١) سورة محمد ٢٤/٤٧ .

كلمة من كلامهم فائدة (١) ، يهدي الله لعلم ذلك
من أحب ، ويمنعه من شاء ، وينبغي لمن غمض ذلك
عليه أو لم يتأد حسه اليه ، أو لم يعرف معناه فمر
صفحا عليه أو أنكره أو شيئا منه أو رأى أنه
لا فائدة فيه ولا معنى له أن يعرف أن التقصير من
قبله ، والعجز من ذات نفسه ، ويسأل عما جهله
من هو في العلم بذلك فوقه فان لم يجد ذلك أنزله
على أحسن المنازل ، واعتقد فيه أفضل الاعتقاد ،
وسلك فيه خير السبل ، وسلم لهم فيه ووجهه الى
خير الوجوه عنده .

(٥)

ذكر الأمر بالوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذكّار ما أخذ لهم منها

قال الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (١) » وقال تعالى: « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (٢) » وقال تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فيؤتيه أجرا عظيما (٣) » فعهد الأئمة صلوات الله عليهم هو عهد النبيين وهو عهد الله ، كما كانت طاعتهم موصولة لا ينبغي قطعها ، فكذلك عهودهم انما هي على الطاعة ولا ينبغي الا الوفاء

• (١) سورة المائدة ١/٥

• (٢) الاسراء ٣٤/١٧

• (٣) الفتح ١٠/٤

بها ، ولا ينبغي نقض شيء منها ، ولو أطاع الله فيما يرى مطيع ، وعصى رسوله أو كذبه لم يقبل الله طاعته وعذبه على تكذيب رسوله ومعصيته ، يشهد بذلك قوله جل ثناؤه واصفا لأكرم رسله عن الملحدين المستوجبين لعذابه « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » القائلين ما استوجبوا به غضب الله مع اقرارهم بربوبيته بجحدهم نبوة رسوله ، وكذلك يلزم من أقر بالله ورسوله ، ولم يعترف بإمامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته ، لكان ممن قال الله جل ذكره : « وقدمنّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (١) » وكذلك هو ان أطاع الله ورسوله بزعمه ، وعصى امامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده امامه ومعصيته ، اذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات ، وافترضها ووصلها فلم يقطعها ، وجمعها فلم يفرق بينها ، فمن وفى (٢) لله بعده ولسوله وأوليائه ممن قال الله تعالى : « فسيؤتيه أجرا عظيما » فالأجر العظيم الجنة .

(١) سورة الفرقان ٢٥/٢٣ •

(٢) بنفسه (م) اوفى •

ومن نقض عهد الله من بعد ميثاقه وقطع منا
أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين
وصفهم الله عز وجل في كتابه : « وهم الذين خسروا
الدنيا والآخرة ، خسروا رضاء الأئمة عنهم في
الدنيا ، ورضاء الله عنهم في الآخرة ، وصاروا الى
عذابه ، لقطعهم هذه الطاعة التي أمر الله عز وجل
بها أن توصل ، فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه
وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الايمان ،
واستوجبوا ثواب ربهم الذي وعدهم اياه في كتابه ،
وبنكث عهدهم ونقضه واطراحه استحق الناكثون
عذاب الله وخسروا رحمته ، فالوفاء الوفاء أيها
المؤمنون بعهدكم ، وبال حفظ الحفظ لأمانتكم ،
فانكم قد عاهدتم الله ربكم ، فأعطيتموه صفقة
ايمانكم على الوفاء بما عاهدتموه ، وألزمتم أنفسكم
من الشرائط والايمان والمواثيق على ذلك ما قد
عرفتموه ، والرغبة الرغبة في ثواب رب العالمين ،
والحذر الحذر أن تكونوا من الخاسرين ، وفكروا
فيما عاهدتم الله عليه وفيما ألزمتم أنفسكم اياه
وأعطيتهم صفقة ايمانكم فيه ، وارعوه حق الرعاية ،
وأدوا الى الله والى أوليائه فيه الامانة ، فانه عز
وجل يقول : « قد أفلح المؤمنون » الى قوله : « والذين

هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١) » .

فبالوفاء بالعهد وحفظ الامانات نزل المؤمنون منازل الجنات ، وبنقضها والخيانة حل أهل الشقوة أسوأ المحلات ، ولو لم يكن ما تستخرجون له في خلاف ما عاهدتم الله عليه الا الحنث فيما ألزمتوه أنفسكم من الايمان المحرجة المشددة والعهود المغلظة المؤكدة ، وقد ترون من الناس كثيرا ممن لا كثير ورع له ولا عظيم أمانة فيه يحفظون ايمانهم كما أمر الله عز وجل بحفظ الايمان في كتابه ، فان حنث (٢) أحدهم في الشيء منها كفر بما يجب ، ويلزم الكفارة فيه عنها ، وأمضى مالا كفارة فيه على ما قد كان حلف به عليه ، فقد طوقتكم أعناقكم ما لا تطيقون ان حنثتم فيه ، وما لا كفارة له الا الوفاء بما حلفتكم به عليه مع تغليظ ذلك وتأكيده وتعظيمه وتشديده ، فاتقوا الله اذ تلقوه بايمانكم حاثين ولعهوده ومواثيقه ناقضين ،

(١) المؤمنون ٢٢ / ٩ و ١٠ و ١١ .

(٢) بنسفة (هـ) انكر .

ولحدوده متعددين ، ولأمره مخالفين ، ولنهيه مرتكبين ، فقد حرم عليكم بنقضكم اليهود وحنثكم في الايمان ما كان الله عز وجل أحله لكم من النكاح والمكاسب والمطاعم والملابس والمشارب ، ولزمتكم صدقات أموالكم ، وعتق رقيقكم ، وما أوجبتموه من النذور على أنفسكم ، فان لم تفوا بذلك ارتكبتم الحرام (١) ، وانفستم وارتطمتم في الخطايا والآثام ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك أجمعين ، وأدخلنا في جملة عباده المؤمنين ، الذين يوفون بعهدهم ولا ينقضون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

واعلموا رحمكم الله أن رعاية الحدود والوفاء بأمانة المواثيق والعقود لا يكون الا بعد علم بما أخذت عليه وعقدت فيه ، وحفظه والقيام بواجب فرضه ، فاعرفوا ما عاهدتم الله عليه وما ألزمتكم أنفسكم إياه له ولأوليائه ، وما قيل لكم في ذلك وما أخذ عليكم فيه ، ولا يكن مر بكم يومئذ صفحا فنسيتموه ، أو تكونوا قد عرفتموه فتهاونتم وضيعتموه ، فمن يكن ضيع ذلك بعد أن أخذ عليه

(١) بنسفة (هـ) الجرم .

وعلم ما ضيع منه فليتلأف نفسه فيه بالتوبة مما
ضيع والرجوع الى حفظ ما استودع ، فمن نسي
ذلك أو شيئاً منه ، فليستأنف أمره وليسأل تجديده
الاخذ عليه ، ليرجع بالاعتراف والتوبة الى الله ،
والى وليه فيه ، ولا يتمادى على السهو والتفلس
فيلقى الله ناسياً لآياته ، مضيعاً لعهدده قد نبذه
وراء ظهره ، فيكون عند الله أخزى وأشقى ممن لم
يجد له عهداً ، اذ كان المضيع للأمانة أسوأ حالاً ممن
لا أمانة في يديه ، والحجة على من علم أكد منها
على من لا علم لديه ، وان كان الفرض على من
جهل السؤال وعلى من ضل طلب الهداية عند
الضلالة ، وقد جعل الله عز وجل المنافقين في الدرك
الأسفل من النار فهم فيها أشد عذاباً وأسوأ حالاً
من الكفار لأنهم علموا ثم أنكروا والكفار أصروا
على الكفر لما كفروا ، فكل في عذاب الله ووثاقه ،
والمنافق أشد عذاباً لتفاقه ، وكذلك من نقض العهد
أو نسيه هو أسوأ حالاً ممن لم يؤخذ عليه وكلاهما
لا خير فيه .

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم
من أخبارهم بما فيهم وسؤالهم والاستغفار لهم

قال الله عز وجل : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم
جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما » وقال في المنافقين « واذا
قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (١)
فاخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون
الا من قبل أوليائه اذ هم أبواب رحمته لخلقه
وأسياب مغفرته لمباده ، ومن استشفع بهم شفع
ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل (٢) ،

(١) المنافقون ٢٣/٥ .

(٢) بنسفة (م) وجد .

والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعته من الأئمة من أهل بيته ، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت مغفرته لخلقه ، وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه عنهم ، كلا ان الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده ، ومفزع وملأ لخلقه ، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته رافة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولم نجد لما جهلناه من عليم ولا خبير ولا مفزع نلجأ إليه في استغفار ذنوبنا ، كما ذكر الله عز وجل في كتابه لما قبض الرسول فقد أخبرهم عز وجل في التنزيل أنه وصل طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولي الأمر من بعده وفي أمره إياهم بطاعتهم وتسميته إياهم دليل على تعبدهم بطاعتهم ورد الأمور كلها إليهم والتسليم فيها لهم ، فينبغي لاتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عز وجل جعلهم لهم أبوابا لرحمته وأسبابا لمغفرته فمن خالف شيئا مما عاهدهم عليه أو ضيع أمرا تقدموا إليه أو اقترف شيئا أشفق منه فعليه أن يأتيهم ويرفع ذلك من أمره إليهم تائبًا متنصلا مما صار إليه ، مستغفرا

من ذنوبه فيه ، مستشفعا الى الله بامام دهره من
ذنبه ، كما أمر الله عز وجل في كتابه ودعا اليه
عباده ، ولا يصر على ذنوبه وخطايا ونسيانه ،
ويتمادى على اقترافه وموبقاته غير تائب منها ولا
مقلع عنها فان الله عز وجل قال في كتابه « يحب
التوابين ويحب المتطهرين » ويكره أن يؤتى من غير
جهات أبوابه أو يتسبب اليه الا من أسبابه .

قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه :
« نحن أبواب الله وأسبابه لعباده ، ومن تقرب منا
قرب ، ومن استشفع بنا شفع ، ومن استرحم بنا
رحم ، ومن أعرض عنا ضل » وقد جاء عن بعض
أهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله
قول رفعه الى علي عليه السلام أنه قال : ينبغي لكل
من عرف امامه أن يخبره بما فيه ويطلعه على ما
لديه ، وعلى ما يحسنه ويقوم به ليستعمله فيما
يرى استعماله له مما يرى أنه ينهض به ويستطيع
به » . وهذا عندي وجه حسن ينبغي لأتباع الأئمة
أن يفعلوه ، بعد أن يصدقوا في قولهم ولا يكتموا
شيئا يعلمون من أنفسهم ، ولا يكن مرادهم بذلك
استشرافا بها للعمل ، ولا طلبا للرياسة ، بل يكون
قصدهم بذلك وجه الله الكريم وابتغاء ثوابه

المعظيم في أداء الأمانة (١) الى أئمتهم والوفاء
بعهدهم ، وانهاء ما يرون أنه من النصيحة لهم كما
أخذ لهم في ذلك عليهم ، فان من علم من نفسه ما
يرى أن امامه اذا رأى استعماله فيه عاد ذلك
بالصلاح في أموره فكتم ذلك وطواه عنه فهي خيانة
خانها ونصيحة لله ولرسوله ولوليّه أخفاها ، واذا
أنهى ذلك على العدل والصدق وسلك فيه سبيل
النصيحة والحق فالخيار بعد ذلك فيه الى امامه
وعليه السمع والطاعة لما يأمر به ، والتصرف فيما
صرفه فيه والمصير الى ما أصاره اليه علم ذلك أو
جهله ، أو كان عند نفسه مستضلما به أو ضعيفا
عليه ، فان الله عز اسمه يؤيد من أقاموه ، ويوفق
من نصبوه اذا تولى ما ولوه بنصيحة ونية وإخلاص
ضمير وصفاء طوية ، فوالله أحلف صادقا لقد أمرت
غير مرة بأمر ما أحسن ولا أرى أنني أستطيع
شيئا منه ولا أقوم به ، فما هو الا أن أخذت فيه
فقويت ، فأعنت عليه وجئت به على ما أريد منه ،
فعلمت أن الله جل ذكره يبلغ أوليائه ما أملوه ،
ويتم لهم ما أرادوه ، فانما الناس لهم بمنزلة الادوات
التي تعمل بذواتها فاذا استعملت عملت دقائق

الاعمال وجلالها ، ولقد عهدت بعض (١) المؤمنين
وقد ندبه بعض الأئمة الى عمل فسارع اليه ، وهو
عندي وعند من يعرفه لا يحسنه ولا يقوم بشيء
منه ، وكنت خاصا به ، فذكر لي أمره بعض من
أغتم بما أضيف اليه ، وخشي التضييع والتقصير
عليه ، وحركني على ذكر ما يخاف من ذلك عليه له
أن يستعفي من ذلك ، فلقيته فيه فقال : والله اني
لعلى ما ذكرت ، ما أحسن ما ندبت اليه قبل هذا ،
ولكني أعلم اذ ندبني اليه ولي الله أني أقوم اليه
وأحسنه ، والله لو دفع الي ذهباً أو فضة وقال خذ
هذا فصنع منه كذا وكذا لأخذت ما دفعه الي وتناولت
العمل على علم مني ويقين ونية أن الله تعالى يهديني
الى ما أراده الامام ويوفقني الى أن أعمل له من ذلك
العمل ما أراده وانتهى فيه محبوبه ، وأبلغ منه
أمله ، ورأيت يقينا عظيما ونية صادقة ، وعلمت
أن تخلفه عما ندب اليه يقرب من تخلفه من عمل
الصياغة التي ضرب المثل به ، ولم أر لمراجعته
وجها ، فانصرفت عنه وغدوت من غد اليه فأصبته
قد اعتل بعلّة ظاهرة ثقيلة أقامت عليه الى أن بعث

(١) بمسفة (م) لبعض .

الى المكان الذي ندب اليه غيره ، ثم أفاق فعلمت أن الله صرف ما كنت خشيته عليه لجميل اعتقاده وحسن نيته ، فأقل ما يسمع في ذلك من ندب الامام أو من قام بأمره وليا من أوليائه الى أمر من أموره ، أن يطلعه على ما فيه ، ويخبره بلسان الصدق بما عنده ولديه من كفاية في ذلك أو عجز أو تقصير عنه ، فما رآه بعد ذلك سلم اليه فيه وسارع الى ما يأمر به ، فانا لا نقول ما قاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون امامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفي صدور عباده تعالى الله الذي تفرد بعلم ذلك دون خلقه ، ولم يطلع على ما شاء منه الا من ارتضى من رسله ، قال جل ثناؤه : « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله » وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » وانما أراد هؤلاء الفسقة (١) بما سبوه الى الأئمة صلوات الله عليهم من ذلك دفع امامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب

(١) بنسفة (م) الفساق .

والناس يرونهم لا يعلمون ذلك بما يشاهدون منهم
من سؤالهم واستخبارهم عما غاب عنهم وأنهم لا
يعلمون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم ، لم
يكونوا أئمة عند أولئك الفسقة ، ولا عند من قبل
منهم اذ لم تكن تلك الصفة التي وصفوهم بها
منهم .

وأكثر ما نقول في الأئمة صلوات الله عليهم في
مثل هذا أنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من
العلوم ، وينظرون بنور الله جل ذكره ، وأنه
يمدهم بتوقيفه ويهديهم بهدايته ، ويطلعهم على
ما سألوه أن يطلعهم عليه بلطف تدبيره وحكمته
وفضله عليهم ونعمته ، كما جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله « ان المؤمن ينظر بنور
الله » وهو الامام صلوات الله عليه ، فان قال قائل
ان ذلك لكل مؤمن ، فنظر الامام بعد رسول الله
(صلعم) أفضل لأنه فوق جميع المؤمنين ، وقد جاء
عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه سئل عن
قول الله عز وجل : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين »
فقال : نحن المتوسمون ننظر بنور الله الى عبادته ،
فاحذروا فراستنا فيكم » وأشياء هذا مما قد يجري
مجراه ، يطول به الكتاب ان ذكرناه .

(٧)

ذكر ما ينبغي من اقتصار من شملته دعوة الامام
على ما قيل لهم وعرفوه دون أن يتعاطوا
أو يتكلفوا ما لم يؤذن لهم فيه

هذا باب لو تقصيناه وذكرنا ما ينبغي أن يدخل
فيه لطال القول به ، وخرج عن حد هذا الكتاب
وفيما نذكر منه ان شاء الله كفاية لأولي الألباب .
ينبغي لمن أخذ عليه ميثاق الأئمة صلوات الله عليهم
أن يفي به ويزعاه كما قدمنا ذكر ذلك ، ولا يخالف
شيئاً مما أمر به فيه ولا يتعداه ، ولا يغلو ولا
يقصر ، ولا يتعدى شيئاً مما أمر به ، ولا يتأول
فيما سمعه ويسمعه من أولياء الله برأيه ولا يقول
فيه بهواه ، ولا يحدث نفسه بذلك ولا يميل اليه
بنخاطره ، وليكن كما قال مولانا جعفر صلوات
الله عليه لبعض أوليائه : « كونوا لنا دعاة

صامتين « فقليل له : كيف ندعوا جعلنا الله فداك ونحن صموت (١) ؟ فقال : « بأعمالكم » وذكر كلاما طويلا يحض فيه على أعمال البر ثم قال : « فاذا رآكم الناس على مثل هذه الاحوال علموا انما دعوناكم الى خير ، فسارعوا اليها فكنتم دعائهم » فهكذا ينبغي لمن يقلد أمر أولياء الله أن يلزم الخير ويعمل به ، ويجتنب الشر ويحذره ، ويعمل بطاعة الله وبفروضه ويجتنب معاصيه وما أسخطه ، ويدع المراء والجدال في الدين حتى يطلق له في ذلك ويؤذن له ذلك من اليه الاطلاق من بعد أن يراه أهلا له ويرتضيه ، قرب مجادل لا يقوم بما يتقلده يكون فتنة لمن هو ألحن بالحجة منه اذا جادله فقطعه ، ولذلك أمر أولياء الله بالصمت ، وتعبد الله به أولياءهم ، ولم يأذنوا في الكلام الا لمن ارتضوه ، وأطلقوا ذلك له ، وقال بعضهم لمن قد أذن له فيه : « متى ناظرك من تر أنه ألحن بالحجة منك فاستتر بالباطن » يعني عليه السلام أن يقطع كلامه ، ويوميء الي أن في ذلك باطنا لا يتهيا له ذكره ، ولا يتمادى في الكلام الى أن يظهر عليه مخاصمه ،

(١) بنسفة (م) صامتين ،

فيكون ذلك فتنة له وداعيا الى الاصرار على ما هو عليه ، ولكن يبقيه على شبهة من أمره ان كان قد وجل في مناظرته ، وان علم أنه ألحن منه قبل المناظرة لم يناظره واستتر كذلك بالباطن منه ما أمكنه ، لأن احتجاج المبطلين ربما شبهوا به وخيلوا للسامعين أنه الحق ، كما خيل السحرة لموسى بحبالهم وعصيتهم ما خيلوه حتى أوجس في نفسه منه خيفة موسى ، وان كان الحق بعد ذلك يدمغ الباطل ويأتي عليه ، ولذلك أمر بالصمت والكتمان ، وقال جعفر بن محمد (صلعم) لبعض شيعته وقد عرضوا أنفسهم للقيام معه فقال : « سألناكم ما هو أيسر من هذا فلم تفعلوا » قالوا : وما هو يا ابن رسول الله (صلعم) ؟ قال : « قلنا لكم اسكتوا فانكم ان سكتتم رضىنا فلم تفعلوا » ولتثبيت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقي فيها الداخل في ذلك ، فاذا لم يقف على ذلك أولا فأولا ويرتقيه درجة درجة ووصل اليه منه الشيء قبل وصول ما يجب أن يصل اليه قبله هلك ، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته لهلك ، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب ، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق الا لمن أطلقوه له لأنه لو كان

مطلقا لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل
لو حمل عليه الطعام في حين ولادته ، والجنين لو
استخرج قبل أن ينتهي الى حد التمام ، فلهذا
ولامتحان العباد أسر أولياء الله ذلك وأخفوه ، ولو
نشروه وأظهروه على حقيقة الواجب فيه لما تخلف
أحد عنه ، ولكن الله عز وجل تعبد عباده بالإيمان
بالغيب فقال جل من قائل : « الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (١) » الى
قوله « أولئك هم المفلحون » . ولو شاء عز وجل
لجبل العباد على الطاعة ، أو لأمر مناديا ينادي من
سمائه بمراده ، ولم يبعث من رسله الى عباده من
بعث ، ولو فعل ذلك لبطل التفضيل وزالت المحنة ،
ولم يكن ثواب ولا عقاب ولكان الناس كلهم أمة
واحدة ، ولاستووا في النعم والعلم والفضل والله
أعلم بما أراده وأولياؤه الذين أطلعهم على ما شاء
من غيبه ، لا اله الا هو وحده لا شريك له .

(٨)

ذكر الصبر على نوائب الأئمة صلوات الله عليهم
والشكر لما أولوه من جزيل النعمة

الصبر والشكر خلتان من خلال العبادة ، فمن
صبر على طاعة الله وطاعة أوليائه التي افترضها
لهم على عباده وعول في السراء والضراء عليهم
واحتمل الأذى لله ولهم كان من الصابرين الذين
وصف الله عز وجل ثوابهم في كتابه فقال : « إنما
قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا أفضوا (١)
الله تعالى ثواب الصابرين في غير موضع من كتابه
وأثنى عليهم فيه فوصف ما أعد لهم من ثوابه ،
وبالصبر عن المعاصي والصبر على الطاعة نال
الصابرون ثواب ربهم وأفضوا الى كرامته وحلوا

(١) سورة الزمر ١٠/٢٩ •

قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا آفـضوا (١))
الى كرامة الى أنفسكم عن المعاصي) واصبروها على
الطاعات وأدبوا أنفسكم بالصبر على نوائب أئمتكم
ولا تسأموها وسارعوا اليها ولا تملوها فانها عبادة
تعبدكم الله بها فيجزى منكم العاملين ويثب
الصابرين .

وبالصبر على نوائب أولياء الله قامت حدوده
في أرضه وظهر فيها حقه وأمره ودان من دان فيها
بطاعته . فالصابرون لأمر أولياء الله القائمون
بنوائبهم المسارعون الى أمرهم فيما أرادوهم له
وندبوهم اليه واستعملوهم له وصرفوهم فيه هم
المطيعون لله القائمون بنوائب الله الحافظون
لحدود الله المجاهدون في سبيل الله والمقيمون
لأحكام الله الظافرون بالرحمة والثواب وطوبى لهم
وحسن مأب . ولو لم يصبر العباد على فرائض الله
ويقوموا بنوائب أولياء الله وتواكلوا وتخاذلوا في
دين الله لحلوا محل شقواتهم وويلهم ولتخطفهم
الناس من بين أيديهم ومن خلفهم ولأكل القوي
الضعيف واضطهد الشريف عند نفسه المشروف ،
نعوذ بالله من البلاء والخذلان ومن الفشل في الدين

(١) بنسـفة (م) تـفضوا .

المحل بأهل البأس والهوان •
 وأما الشكر فيه تدوم النعم ، ويرجى المزيد
 للشاكرين ، وبتركه دخل التاركون له في جملة
 الكافرين • قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين :
 « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي
 لشديد (١) » وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من أسدى
 إليه معروف فليكا فيء عليه ، فان لم يجد مكافأة
 فليشكر ، فان لم يفعل فقد كفر النعمة » ولم يرض
 الله عز وجل من عباده فيما أنعم به عليهم بشكر
 النعمة له وحده تعالى وتقدسست أسماؤه لا شريك له
 حتى أوجب عليهم شكر من أجرى نعمته لهم على
 يديه من خلقه فقال : « أن اشكر لي ولوالديك الي
 المصير (٢) » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى
 آله : « يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة لبعض من لم
 يشكر المعروف لمن صنعه اليه ، صنع بك عبدي
 فلان فلم تشكر له وكفرته ، فيقول يا رب علمت
 أن ذلك منك فشكرتك ، فيقول معروفا الله عز
 وجل : كلا لم تشكر لي اذ لم تشكر من سببت لك
 ذلك على يديه » • فاذا كان شكر تربية الوالدين ،

• (١) سورة ابراهيم ٧/١٤

• (٢) سورة لقمان ١٣/٣١

وشكر نعم الناس بعضهم على بعض فرضا وتركه
كفرا ، فكيف بشكر الأئمة صلوات الله عليهم على
ما لا يحصى من نعمهم ، أما وليهم فقد أحيوه من
موت الجهل بالحكمة ، وبصروه بعد عمى الجهل
واستخرجوه الى النور من الظلمة وهدوه من الضلالة
وعلموه من بعد الجهالة واستنقذوه من النار ،
وأحلوه محل الأبرار ، وأنعموا عليه بنعم لا
تحصى ، وجمعوا له من خير الآخرة وخير الدنيا •

وأما من اتبعهم لطلب دنياه فقد بلغ من الخير
فيما عندهم مداه ، ونال من فضلهم أضعاف ما
يوجب له ما تولاه هذا ان نصح لهم فيما استعملوه
فيه وقام بواجب ما كلفوه وأخذ أجرهم عليه ، وان
غش واقتطع وخان وأكل وهو يسرح في نعمهم
ويرتع (١) في أموالهم ويتقلب في معروفهم وأفضالهم
أمننا من عقوبتهم ووادعا في سلطانهم فالحجة له
ألزم وعليه أكد نعوذ بالله من حال من هذه حاله ،
والشكر أوجب عليه وتلا في نفسه بالتوبة والانابة
الى النصيح والاصابة أولى به ، وأما من شمله
سلطانهم من رعاياهم ، ومن حوته مملكتهم ممن
قرب أو بعد منهم ، فقد غمرهم فضلهم واحسانهم

(١) بنسخة (م) ويلعب •

من حيث يرون ويبصرون ، ومن حيث يجهلون ولا يعلمون ، فمن ذلك أنهم يمسون ويصبحون في أسرابهم وادعين آمنين قد كفوا عنهم أيدي المعتدين وحموهم من تطاول المفسدين ودافعوا عنهم الاعداء المتطاولين (١) بمهج أنفسهم وما خولهم الله من أموالهم على تخلف أكثر الناس عن الجهاد معهم كما افترضه الله عز وجل عليهم بأموالهم وأنفسهم ، ومنعهم الواجب في أموالهم أن يدفعوه كما افترض الله عليهم من أموالهم ، مع سؤال من جاهد معهم العطاء لهم واقامتهم ذلك لهم ، فمن شاء أن يعرف قدر نعمتهم عليه فلينظر الى ما هو فيه من نعمة الله عنده من أهل ومال ، ولينظر الى من هو أشد منه قوة وأطول يدا وأحصى جانبا وأمنع منعة ليس في يديه جزء مما خول الله تعالى هذا من نعمه ، ولا له ورع ولا دين يحجزانه عن اختطاف ذلك من يديه ، والتغلب بالقوة والقدرة فيه عليه ، وأنه لا يمنعه من ذلك الا سلطان أولياء الله وخوف انتقامهم منه ، واجتياحه من جديد الارض ان فعله ، فذلك ما غل أيدي مثل هؤلاء عمن لا يستطيع دفعهم عن نفسه في الحاضر والبادي والسبيل وبكل موضع ،

(١) بنسفة (هـ) المتطولين .

وهم أكثر الناس وأهل الشدة والبأس ، فلولا خوفهم
 أولياء الله على أنفسهم لاجتاحوا من قدروا عليه
 من أخذهم ولأكلوا أموالهم وارتكبوا حرمهم
 ولاجتاح بعضهم بعضا ولأهلك الضعيف القوي
 واستباح الفقير الغني ، ثم [عاد] كذلك بعضهم
 على بعض حتى يهلك الحرث والنسل ، ولكن الله
 عز وجل ذكره جعل أولياءه سببا لحياة خلقه وبقاء
 ما أنعم به عليهم من نعمته وأوجب شكره على ذلك
 وشكر من سببه على يديه كما تقدم ذكرنا له ،
 وبهذه النعمة التي أوجب الله عز وجل شكرها
 عمرت الارض وعاش فيها أهلها ولولا ذلك لذهبت
 الانفس والاموال ونعيرت الامور واستحالت
 الاحوال ، وهذا باب لا يتعاطى بلوغ حقيقة ما
 يوجبه اذ كان ما ينبغي أن يدخل فيه وما يوجبه
 ويقتضيه هي نعم الله على خلقه التي أجراها على
 أيدي أوليائه وهو يقول جل ثناؤه وتقدست
 أسماؤه : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (١) »
 وانما شرطنا أن نذكر طرفا من كل فن في هذا
 الكتاب وجملا وعيونا من كل باب ، وفيما ذكرناه
 بلاغ لذوي الارباب والله ولي التوفيق .

(١) سورة ابراهيم ٢٤/١٤ .

(٩)

ذكر ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد
معهم في سبيله

قال الله عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ... الى
قوله : « وبشر المؤمنين (١) » . وقوله تباركت
أسماءه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (٢) »
الى آخر السورة .

وقال الله عز وجل : « وان طائفتان من المؤمنين

(١) سورة التوبة ١١١/٩

(٢) سورة الصف ١٠/٤١

اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بنت احدهما على
 الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر
 الله (١) » • وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى
 آله : « أفضل الاعمال بعد الايمان بالله الجهاد في
 سبيله » ، وقال : « أجود الناس من جاد بنفسه في
 سبيل الله » • فالجهاد في سبيل الله مع أولياء الله
 ومن أقاموه من عباده على من عند عليهم من مسلم
 أو كافر فرض من الله في أرضه بين عباده • فالجهاد
 الجهاد عباد الله مع أوليائه في سبيله بأموالكم
 وأنفسكم كما افترض الله في كتابه عليكم ، فانتم
 حسنات المجاهدين من قبلكم ، فاجهدوا أنفسكم في
 أن تكون لكم حسنات من المؤمنين من بعدكم • لأن
 من جاهد في سبيل الله فاستخرج مشركا من شركه
 الى الاسلام أو باغيا من بغيه الى العدل والايمان
 طائعا بالاجابة أو كرها بالأسر ثم من الله عليه أو
 على عقبه بالايمان فهو ونسله وما تناسل منهم
 حسنات لمن كان سبب ذلك لهم ، وله مثل اجر
 أعمالهم من غير نقص من أجورهم ، وحقيق على
 الله ألا يدخل محسنا منهم الجنة ويقصر بمن كان

(١) سورة المجرات ٥١/٤٩ •

سببه اليها دونها ما لم يأت من الذنوب ما تحرم به
 الجنة عليه ، وفي مثل هذا قال [أبو جعفر محمد بن
 علي] صلوات الله عليه لرجل قد قال له : « يا بن
 رسول الله ان الناس يجدون في أنفسهم من قولكم
 انكم مواليهم • فقال عليه السلام : الناس ثلاثة
 اصناف ، فصنف دعونه الى الله ورسوله فأجابنا
 بمنة الله ومنة رسوله ومنتنا عليه ، وصنف دافعنا
 فقتلنا ، وصنف من الله عليهم ورسوله عام الفتح ،
 فمن أي صنف من هذه الاصناف شاء أن يكون هذا
 القائل فليكن فمنتنا عليه ونحن مواليه •
 فالأئمة صلوات الله عليهم هم أسباب رحمة الله
 لخلقه ونعمته عليهم بدغوتهم اياهم اليه بالجهاد في
 سبيل الله والدعاء اليه وهم الذين استنقذوهم من
 الكفر الى الاسلام ، ومن البغي والشرك الى التوحيد
 والايمان ، فهم حسناتهم وعتقاؤهم ومن أعان أولياء
 الله في ذلك وظاهرهم عليه وتولاهم واتبعهم فيه ،
 فهو منهم لقول الله عز وجل حكاية عن خليله (١)
 ابراهيم : « فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
 غفور رحيم (٢) » وقوله تبارك وتعالى : « ومن

(١) بنسخة (هـ) الخليل

(٢) سورة ابراهيم ٣٦/١٤

يتولاهم منكم فانه منهم (١) فالمجاهدون كما أمرهم الله عز وجل بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم داخلون في سعة هذا الفضل الذي لا يقصر عن أهل الدنيا لو دخلوا فيه بل يسمهم منه ما يقصر أموالهم دونه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لعبد الله بن رواحة وقد تخلف عن بعث بعثه فغدوا متوجهين : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم » فأي فضل يكون أعد أعظم من فضل لا يدرك بجميع ما في الارض ، لم يستثن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من ذلك شيئا ، وكتاب الله يؤكد ذلك . قال الله تعالى فيمن أوجب له النار : « لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم (٢) » فإذا كان ما في الارض ومثله معه لا يوجب الجنة التي أوجبها الجهاد في سبيل الله بقوله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » الآية وقال : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم

• (١) سورة المائدة ٥٤/٥

• (٢) سورة التوبة ٤١/٩

وأنفسكم » • فالجهاد في سبيل الله أفضل من الدنيا وما عليها ومثله معه كما قال الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وذات أن المجاهد في سبيل الله يبذل مهجة نفسه فيه التي لو عرضت عليه الدنيا وما فيها ومثلها معها يبذلها لما قبلها ، فكذلك يكون ثوابه على الله الجنة التي أعدها لأوليائه ولأهل طاعته من عباده ، فاعرفوا عباد الله قدر الجهاد في سبيل الله مع أئمتكم وثوابه ولا تغفلوا عنه ولا تجهلوا مقداره ولا تتهاونوا بأسبابه ولا تزهدوا في ثوابه ، فإن المجاهدين (١) في سبيل الله سادات عباد الله وأهل المنزلة عند أولياء الله ، قد عظم الله في أعين عباده وقلوبهم في الدنيا مقدارهم ، وأجرى على أسنتهم ذكر فضلهم ، وأنطقهم بالدعاء لهم في صلواتهم ومواضع رغباتهم وحين رجاء قبول دعائهم وعلى منابرهم في جمعهم وأعيادهم ، وفضلهم في الآخرة عليهم ورفع فيها منازلهم ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : « المجاهدون في سبيل الله قواد أهل الجنة » •

واعلموا أيها المؤمنون أن للجهاد في سبيل الله

(١) بنسخة (م) المجهزون •

مع أئمتكم حدودا وشرائط وأدبا تخرج عن حد
هذا الكتاب ، جماعها تقوى الله وطاعة الأئمة ومن
نصبوه وبذل النصيحة والاجتهاد في اجتياح أعداء
الله والتسليم لأوليائه والعمل بطاعة الله وحفظ
حدود الله ، فقد سئل مولاكم جعفر بن محمد
صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل « ان الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله » ف قيل له يا بن رسول الله :
هذا لكل من جاهد في سبيل الله ؟ فقال : قد سئل
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عن ذلك ، لما
نزل عليه فلم يجب فيه ، فأنزل الله بعقبه عليه
صفة هؤلاء المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم
فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكمون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١) »
ثم قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه (للسائل)
فمن أراد الجنة فليجاهد في سبيل الله على هذه
الشرائط والا فهو في جملة من قال رسول الله
(صلح) وعلى آله : (ينصر الله هذا الدين بقوم

(١) سورة التوبة ١١٢/٩ •

لا خلاق لهم (١) •

ففي هذا أيها المؤمنون بلاغ لكم ، فجاهدوا مع
أئمتكم في سبيل ربكم ، كما افترض عليكم ، وحافظوا
على حدوده التي حد لكم ، وارغبوا بأنفسكم عن
أن تكونوا ممن لا خلاق له ، كما قال نبيكم ، واقبلوا
عن الله قوله الذي به أمركم حيث يقول : « انفروا
خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وتذاكروا
فضل الجهاد وذكروا به اخوانكم ، فقد جاء عن
رسول الله (صلح) أنه قال : جميع أعمال البر كلها
في عمل الجهاد كنقطة في بحر لجي ، وان ذلك في
المشقة والكلفة • كذلك كم فرق بين ألم الصلاة
والصيام وغير ذلك من أعمال البر وبين ألم ضرب
السيوف وطعن الرماح ، ومشقة السفر ومباشرة
الحر والقر والالاغتراب عن الولد والاهل ، وكم بين
بذل المال وبذل النفوس في غير ذلك من أعمال البر
اذا قيس تعبهم ومشقته الى تعب الجهاد ومشقته ،
كان كما قال رسول الله (صلح) « كالنقطة في بحر
لجي » وكذلك قدر ثوابه ودرجات أهله وفضل

أصحابه بقدر ما ينالهم من ذلك فيه ، وكذلك وجوهه
 ووجوه مشقته واختلاف أحواله كغرق البحر الذي
 اقتحم أهله الخطر فيه ، وركبوا هول البحر له لم
 يغدوا فيه غدوة آمنين ، ولا أراحوا له راحة من
 الخوف سالمين ، ولا ظلوا فيه ساعة مطمئنين ، فهم
 طول ما هم فيه من ثواب المكافحين لعدوهم المناصبين
 لهم ، فان عطبوا فيه فلهم أجر الشهداء بلا تغلب
 ولا قهر من الاعداء ، وان نجوا منه فلهم ثواب
 الخوف فيه وحمل أنفسهم على التلاف به رجاء
 ثواب ربهم في ركوبه ، ولغدوتهم فيه بلا شك أفضل
 من غدوة القوم في البر التي قال رسول الله (صلح)
 لابن رواحة : « لو أنفقت ما في الارض ما بلغت
 ثواب غدوتهم » ولقد شبه المائد منهم بالمتشحط في
 دمه في سبيل الله في البر ، وحبهم في اقتحامه سلك
 الموت بركوبه البحر ، كالميت في سبيل الله في البر
 لا حتف أنفه ، والسالم فيه كالظافر في البر بعدوه ،
 وقد قال رسول الله (صلح) « كل بر حتى يقتل
 الرجل في سبيل الله » فأخبر أنه لا ثواب أعظم منه ،
 فأعرفوا رحمكم الله قدر ثواب الجهاد ولا تغفلوه
 ولا تركنوا الى الهويناء (١) والدعة فيه ، فليس

(١) بنسخة (م) الهون .

على الهويينا والدعة ثبت أصل دينكم الذي أنتم عليه ، ولا بهما بسق فرعه الذي أنتم ثمرته ، ولو ركن الى ذلك من كان قبلكم لما كنتم أنتم ، فصلوا ما ابتدأه لكم اخوانكم الذين أمركم الله تعالى بالاستغفار لهم ولا تهدموا ما بنوه لكم ، فقل بناء ترك لم يتعاهد فيرم الا انهدام أورث أو انثلم ، والخفض والدعة من عدوكم هو كان سبب زوال ما بأيديهم اليكم ، مع فضل الله الذي قضاه لكم ، وعطائه الذي أعطاكم باجتهادكم واجتهاد من قبلكم ونصب أنفسكم في جهاد عدوكم ، فان أردتم الدنيا فاستديموا خيرها ووفروها بجهاد عدوكم ، وان أردتم الآخرة ، فالله خير وأبقى لكم ، واحذروا وعيد الله جل ذكره لمن تخلف عن الجهاد والنفقة في سبيله بأن يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ، فويل لمن كره الله انبعائه في سبيله فثبطه واستبدل به غيره ، أعاذنا الله وإياكم من الحور بعد الكور ، ومن الادبار بعد الاقبال ، ومن الذلة بعد العزة ومن النقص بعد الكمال ، قال علي صلوات الله عليه « لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوما أنتم أولى بالحق منهم فيعذبونكم ثم يعذبهم الله بعد ذلك » واعلموا

رحمكم الله أن أس الجهاد وقطبه ، وذروة سنامه
 وعرفه ، وأصله وفرعه ، في الطاعة والصبر ،
 فاصبروا رحمكم الله واثبتوا اذا لقيتم عدوكم كما
 أمركم الله ربكم ، وطاولوهم الصبر ، فانه ان زاد
 صبركم على صبرهم طرفة عين غلبتموهم باذن الله
 فلا يكونوا على باطلهم أصبر منكم على حقكم ،
 وكذلك فاصبروا على البأساء والضراء في مسيرتكم
 ومقامكم ، وأطيعوا أئمتكم ومن أقاموه لكم وأمروه
 عليكم ، فأطيعوه ما دام على طاعة الله وطاعتهم ،
 فان عصى الله وعصاهم فلا طاعة في المعصية له
 عليكم ، ولا يهولنكم كثرة أعدائكم ، فان الله عز
 وجل يقول وهو أصدق القائلين : « كم من فئة قليلة
 غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »
 فاصبروا يكن الله معكم ، فانه من كان الله عز
 وجل معه فهو ناصره ومؤيده ، ومن نصره كما
 قال الله فلا غالب له ، وقد نصر نوحا صلى الله
 عليه لما ناداه « اني مغلوب فانتصر » وقد تعالى
 عليه أهل الارض فأهلكهم الله ، ولو شاء عز وجل
 أن يجتاح أعداءه بعذابه لفعل ، ولكنه جل ثناؤه
 أراد أن يبلوكم بالاعمال ، ويفضل بعضكم على

بعض بالطاعات (١) والاقبال ، ولو شاء لجعلكم كما قال الله « أمة واحدة » ولكنه فضل بعضكم على بعض ، فتنافسوا في الفضائل ، وتوسلوا اليه بالأعمال الصالحة ، فانها من أقرب الوسائل ، وسلموا اليه ما اشتراه منكم من أموالكم وأنفسكم بالجنة التي جعلها ثمنا لذلك لكم ، فانها أموال ان لم تسمحوا بها في ذلك سمحتم بها فيما هو قليل النفع لكم ، وان أمسكتموها لغيركم وبقيت تبعاتها عليكم ، وأنفسكم ان لم تبذلوها في رضاه ربكم وتبيعوها بالجنة التي اشتراها الله بها منكم انها ذاهبة من غير عوض واصل اليكم ، وأجلها مع ذلك مؤقت ولا يقربه اقتحامكم بها في جهاد عدوكم ، ولا يباعدكم عنكم عنه بها ولا شحكم دونه عليها ، فما أيسر ما تبذلونه في ثمن الجنة وما هو الا اختبار لكم ومحنة ، وما أنتم في الجهاد الا بمنزلتين ، كما أخبركم الله تعالى على احدى الحسنين اما السلامة التي اياها تؤثرون واليها تركنون ، أو الشهادة فالى الحياة الدائمة تصيرون .

قال الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا في

(١) بنسخة (م) بالطاعة .

سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
فرحين ٠٠ الآية (١) ، فلمثل هذا عباد الله فليعمل
العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، وفي الجنة
ونعيمها فليرغب الراغبون ، انها دار لا يحزن
ساكنوها ولا يظمن عنها قاطنوها ، من الدر والجوهر
قصورها ، وكاللؤلؤ والمرجان حورها ، ومن الماء
الفرات والخمر والعسل واللبن أنهارها ، وبأصناف
الثمار الدائمة تتهدل أشجارها ، ويحلون فيها من
اساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير ، والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ، وعلى الأسرة والأرائك يتكئون ،
ومن الحرير والسندس يفترشون ، ويطوف عليهم
غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون بأكواب وأباريق وكأس
من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة
مما يتخرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحوار عين
كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ولهم فيها ما تشتهي الانفس ،
ولهم فيها ما يدعون ، فهذه أيها المؤمنون بعض
صفات الله ربكم للدار التي اشترى بها منكم

(١) ال عمران ١٦٩/٣ - ١٧٠

أنفسكم وأموالكم في الجهاد في سبيله فابتاعوها
بأنفس عما قليل تفارقونها ، وأموال في غير طائل
تنفقونها أو لفيركم تتركونها ، فما صفقة أربح
منها لكم ، ولا بيعة أجدى منها عليكم ، وفقنا الله
وأياكم الى ما يرضيه فيزلف به اليه انه خير مسئول
وأفضل مرجو ومأمول .

(١٠)

ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات

قال الله عز وجل ذكره لمحمد نبيه (صلعم)
« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (١) »
فهذه الصدقة فيما اتفق عليه أهل القبلة هي صدقة
الابل والبقر والغنم ، وما يجب في الاموال وما
أخرجت الارض وصدقة الفطر ، يؤخذ ذلك من
أهله في كل عام وسميت أيضا زكاة لقول الله عز
وجل « وتزكيهم بها » وقدر ما يؤخذ من ذلك
معروف مفهوم في كل ما يجب فيه لو ذكرناه لخرج
عن حد هذا الكتاب ، أمر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وعلى آله بأخذه من أموال المسلمين
وصرفه في وجوهه المتي سماها الله تعالى في كتابه اذ

(١) التوبة ١٠٣/٩ .

يقول جل ثناؤه « انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من
الله والله عليم حكيم (١) » ففرض الله عز وجل
على المسلمين اخراج ذلك من أموالهم في كل عام ،
ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ،
وفرض عليه صرفه في وجوهه (٢) التي سماها الله
فكان المسلمون يدفعون ذلك الى عماله الذين
استعملهم على قبض ذلك منهم ، وهم العاملون
عليها الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله يضع ذلك في مواضعه
التي أمره الله بوضعها فيها ، فلما قبضه الله اليه
لم يقل أحد من المسلمين ان فرض ذلك قد زال
عنهم بل كانوا يدفعون ذلك الى عمال من ولوه
أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
واحدا بعد واحد الى أن رأوا بني أمية يستأثرون
به ولا يضعونه مواضعه فسألوا من بقي منهم من
أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأمرهم بدفع ذلك
اليهم ، فراجعوهم فيه وذكروا لهم ما يفعلون به

(١) التوبة ٦٠/٩ .

(٢) بنصفه (م) الوجوه .

فقال لهم بعضهم : ادفموا ذلك اليهم ولو أكلوا به
لحوم الحيات وقال بعضهم : ادفموا اليهم ولو شربوا
الخمر وأكلوا به لحم الخنزير .

وقال بعضهم : ادفموا اليهم فانما عليكم ما
حملتم وعليهم ما حملوا أرايتم لو أخذتم لصوصا
فقطعتم أيدي بعضهم وتركتم بعضا أكنتم
مصابين (١) في ذلك قالوا : لا . قال : فلو دفعتموهم
اليهم فخلوهم أو قطعوا بعضا وتركوا بعضا أكان
عليكم أنتم من ذلك شيء قالوا : لا . قال : فعلى
هذا تجري الأمور عليكم وأنتم تدفعون صدقاتكم
اليهم وعليهم وضعها في مواضعها فمن تعدى فيما
عليه باء بائمه .

ولهذا من الواجب نظائر يطول ذكرها لو كان
لرجل على رجل دين ولرجل آخر على ذلك الذي له
الدين دين فدفع الذي له عليه الدين ما كان له عليه
الى الذي له الدين على الذي له دينه عليه بغير أمره
لما بريء من ذلك ولكان عليه أن يدفع ما عليه الى
الذي هو له . وكذلك الامر في الزكاة على من هي
عليه أن يدفعها الى من أمر بدفعها اليه وعلى من

(١) بنسخة (هـ) مصابون .

يقبضها أن يصرفها في الوجوه التي أمر بصرفها
 فيها ، فمن تعدى ذلك من دافع أو قابض بآء بائمه
 ولزمته تباعته قال عز وجل : « وأنفقوا مما جعلكم
 مستخلفين فيه » فلو أن رجلا استخلف رجلا على مال
 له وأمره بأن يدفع منه شيئا معلوما إلى رجل سماه ،
 وأمر ذلك الرجل بأن ينفق ما يدفع منه إليه على
 عياله (١) أو في وجوه أمره بأن ينفقه فيها ففعل
 كل واحد منهما ما جعله إليه وأمره به جاز ذلك من
 فعله ولم يكن عليه فيه تباعة لمن وكله وإن تعدى
 أو أحدهما شيئا من ذلك وخالف أمر من وكله أو
 دفع من أمر بالدفع إلى الرجل ما أمر بدفعه إلى
 غيره ممن أمر الرجل بالنفقة عليه أو دفعه إليه
 أو دفع ذلك إلى غيره كان متعديا في فعله ، وضامنا
 الله عز وجل فيما أمره به واستخلفه عليه أخرى
 بالظلم والتعدي وأجدر بالعقوبة . فافهموا رحمكم
 الله هذا المعنى أيها المؤمنون وتواصوا به واحتجوا
 به على من خالفكم فيه ، فانهم لن يجدوا منه مخرجا
 ولا حجة إلا من ظلم منكم وكابر الحق فإن الله عز
 وجل يقول « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين
 ظلموا منهم فلا تخشوهم » فمن دافق الحق واحتج

(١) بنسخة (هـ) عائلته .

بالباطل فهو ظالم فلا تخشوه .

وكذلك اجتمعوا على أن هذه الصدقات محرمة على رسول الله (صلعم) وعلى أهل بيته خاصة وحلال لسائر المسلمين غيرهم عامة ، إذا دخلوا في جملة أهلها ، ولا تحل لأحد من أهل بيت رسول الله (صلعم) وإن دخل في ذلك أو كان فقيرا أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو كان من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا ، لم يحل له من ذلك شيء وفي ذلك أبين البيان على أن الله عز وجل جعل نبيه والأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أمناه على قبض الصدقات من أهلها ووضعها مواضعها وحرمها عليهم وعلى أهل بيوتاتهم ليعلم الناس أنه لا حظ لهم ولا لمن قرب منهم فيها ولا يكون في أنفسهم عليهم شيء من أجلها ونزهمهم الله عز وجل عنها لما كانت غسالة ذنوب عباده وطهورهم . وكذلك قال رسول الله عليه وعلى آله « أدوا زكاة أموالكم فانها طهور لكم » وعوض الله عز وجل رسوله (صلعم) والأئمة من أهل بيته مما حرّمهم من ذلك الخمس فجعله لهم في أموال عباده المؤمنين مرة واحدة ليس على أنه يجري في الأموال كما تجري الزكاة في كل عام فقال جل ثناؤه « واعلموا

أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (١) .

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « الخمس
لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء ونحن
شركاؤهم في أربعة أخماس الفنائم فيما شهدناه
معهم والخمس لنا دونهم نعطي منه يتامانا (٢)
وفقرانا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا
في الصدقات شيء . وقول الله عز وجل « فإن لله
خمسه » معناه أنه يراد به وجه الله وثوابه
والرسول إذا كان حيا ، فلما قبضه الله إليه عاد
ذلك إلى الإمام من أهل بيته من بعده يعطي منه
قرايبه وأهل بيته الذين يراهم لذلك أهلا ويصنع
فيه ما أحب . فعلى جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس
ما غنموه في كل عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل
بيت رسول الله (صلعم) ، كما أمر الله عز وجل
بذلك مع زكاة أموالهم ، وليست الغنيمة ما أخذ من
أيدي المشركين خاصة بل ذلك كل كسب كسبه المرء
فهو غنيمة .

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « أوجب

(١) الأفعال ٤١/٨ .

(٢) بنفسه (م) . يتامانا .

الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله
لنا حقا عليهم فمن منعنا حقنا ونصيبنا في ماله لم
يكن له عند الله من حق ولا نصيب ، فافهموا أيها
المؤمنون قول مولاكم واعلموا أن الخمس لأولياء
الله عليكم في جميع ما أفدتموه ولا تظنوا أن ذلك
في الغنيمة التي تؤخذ من أيدي العدو خاصة بل
ذلك في جميع ما أغنمكم الله إياه عامة ، والغنم في
لغة العرب ولسانها الذي أنزل الله عز وجل به
القرآن الكسب والغرم النفقة ومن ذلك قيل لمن
يستأثر بالزكاة يرى فلان حبس الزكاة مغنما
واخراجها مغرما ، ومنه قال رسول الله (صلعم)
في الرهن : لصاحبه غنمه وعليه غرمه . فاعلموا
أيها المؤمنون كما علمكم الله أن ما غنمتم من شيء
أي كسبتموه أو فدتموه فإن لله خمسة تتقربون به
إليه وللرسول تدفعون إلى إمام عصركم ثم إليه الأمر
فيه وفيما يعطى منه فقراء أهل بيته ویتاماهم (١)
وأبناء سبيلهم فما كسب أحدكم من كسب أو أفاد
من فائدة فليخرج خمسة في وقت وصوله إليه فيدفعه
إلى إمامه ثم ينظر إلى ما يبقى في يديه فيزكيه لكل

(١) بلسغة (هـ) وایتامهم .

عام على واجب الزكاة فيه وليس عليه فيه بعد ذلك
خمس .

واعلموا أن ذلك الخمس وما يجب عليكم من
الزكاة ليس لكم ولا من أموالكم وإنما هو أمانة لله
في أيديكم ولرسوله كما قال تبارك اسمه . وقد
حذركم في كتابه خيانتته فقال « يا أيها الذين آمنوا
لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم
تعلمون » ولذلك قال رسول الله (صلعم) : « لا
ينقص مال من صدقة » فلو كان هذا القول محمولا
على ظاهره لكان عدد المال إذا أخرجت منه الصدقة
نقص ولكنه أراد صلى الله عليه وعلى آله أن
الصدقة المفروضة ليست من مال من هي في يديه
إذا كان الله تعالى قد أوجب اخراجها عليه وإنما ماله
ما بقي له من بعد اخراجها وهي مال لقوم آخرين
في يديه بأمانة الله عنده تعبده عز وجل بحفظها
عنده ، وامتنحه بدفعها الى من أمره بدفعها اليه .

فأما الزكاة التي تسمى أيضا صدقة كما قدمنا
ذكر ذلك حين ذكرنا أنها تجب في كل عام على
الناس في صنوف أموالهم فإن الأئمة يقتضون الناس

فيها ويجبرونهم على اخراج ما وجد في أيديهم منها
 ويقبضونها ويجاهدون من منعها ، لقول الله عز
 وجل « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » فأمره
 بأخذها وأمر الله واجب فعله على من أمر به
 والأئمة في ذلك يقومون بعد رسول الله (صلعم)
 بمثل ما كان يقوم به في قبض الصدقات وكذلك
 استحل أبو بكر دماء بني حنيفة اذ منعه زكاة
 أموالهم ، وتأول ذلك لنفسه وليس ذلك الا للأئمة ،
 فأما من منع زكاته غيرهم فهو مصيب في منعه اياها ،
 وأما الخمس فليس يكره الأئمة الناس عليه اذ كان
 حقهم وهم مخيرون (١) بين تركه وأخذه ولم يتعبدوا
 الله عز وجل بأخذه من أيدي الناس كما تعبدوا
 بأخذ الزكاة ، ولكنه تبارك اسمه تعبد الناس بدفعه
 اليهم بقوله « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان
 لله خمس » فأوجب ذلك على الناس وأخبرهم أن
 الخمس مما رزقهم وأغنمهم له ولرسوله ولذي
 القربى ، ولم يأمر رسول الله بأخذه أمر الزام كما
 أمره بأخذ الزكاة ، ولكنه جعل ذلك له وللأئمة
 من بعده وأوجب على الناس دفعه اليهم ، وأخبرهم
 أنه لهم دونهم ، فليس يحل لهم منه شيء الا ما أحله

(١) بنسفة (هـ) مختارون .

للائمة لهم ، ثم جعل عز وجل للائمة صلوات الله
 عليهم عند استنقاذهم اوليائهم في أموالهم وفيما
 أحبوه وما رأوا أن يمتحنوهم به ما رأوه من ذلك ،
 وقد امتحن الله عز وجل أنبياءه بضروب من المحن
 يقصر عن ذكرها هذا الكتاب ، وامتحن رسول الله
 (صلعم) وصيه علي بن أبي طالب في حياته في سبع
 مواطن ذكرها علي صلوات الله عليه وذكرها يطول ،
 ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وهي موجودة في الكتب ،
 ذكرها لرأس اليهود اذ سأله من امتحان الله الاوصياء
 في حياة الانبياء ، وبعد وفاتهم وامتحنه صلوات
 الله عليه في ماله فأمره بالخروج منه كله ففعل ،
 ثم قاسمه اياه مرتين حتى أنه قاسمه خاتمه وجبرائيل
 شاهد لذلك ، وامتحن علي صلوات الله عليه الحسن
 أيضا في ماله فقاسمه اياه مرتين حتى نعله ، والناس
 يروون هذا عن الحسن أنه قاسم ماله مرتين حتى
 نعله فجعل في كل مرة فرد نعله فيما أخرجه ، وامتحن
 الأئمة أوصيائهم بصنوف من هذه المحن ، وكذلك
 يمتحنون اوليائهم بما أحبوه عند تبليغهم درجة
 الفضل في أموالهم وفيما رأوا من امتحانهم فيه
 غيرها ، فقد امتحن رسول الله صلى الله عليه عليا
 صلوات الله عليه بالقتل فرضي به واضطجع على

فراشه ليقتل دون رسول الله (صلعم) ، وكما امتحن الله عز وجل ابراهيم خليله بذبح اسماعيل وصيه ، ومن ذلك قول الله تعالى : « ولو انا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ، وإذا لأتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما (١) » فمن امتحنه أولياء الله منكم أيها المؤمنون فليصبر للمحنة ، وأيسر ذلك المال ، وليس فيه توقيت على الأئمة عليهم السلام ولا فيما يمتحنون به أولياءهم عند ارتضائهم أحوالهم وابلاغهم درجة الفضيلة عندهم .

ثم المؤمنون بعد ذلك مندوبون (٢) الى التطوع بالانفاق من أموالهم في سبيل الله ورفع أعمالهم منها الى أوليائهم ، أو من أقاموه لقبض ذلك منهم ، وذلك مفوض فيه اليهم وليس عليهم فيه توقيت ولا فرض معلوم وانما هو تطوع كما قال الله عز وجل « فمن تطوع خيرا فهو خير له » وكذلك ما يفعلونه في أموالهم من صلة أرحامهم وصلة اخوانهم

(١) النساء ٦٦/٤ - ٦٧ - ٦٨ •

(٢) بنسخة (م) ملتدبون •

والصدقة على الفقراء والمساكين منهم ومن غيرهم
أيضا مرغّب فيه اليهم فيما أحبوا منه وتقرّبوا الى
الله به فهذا هو الفرض أيها المؤمنون عليكم في الذي
خولكم الله وأنعم به عليكم ، وجعلكم مستخلفين
فيه ، وصيره أمانة في أيديكم ، ليبلوكم أيكم أحسن
عملا كما قال الله عز وجل في كتابه وأوجبه
وافترضه عليكم في إيجابه ، قاله الله عباد الله
في أمانة الله في أيديكم فيما خولكم من أموالكم
فإنها من أعظم المحن عليكم في إيجابه .

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما
فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما
فرض عليهم في أموالهم ، وفي ذلك هلك عامتهم
فأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى فإنها أمانة
عندكم وليست من أموالكم التي أباحها الله لكم
فما أقبح بالرجل أن يأتعنه أحد من سائر الناس من
ملي أو ذمي على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه
فيها أو يستأثر دونه بها أو يجعده إياها إن هذا لما
يرغب عنه كثير من عوام الناس أنفة عنه وكيف
بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه
واستأثر دونهم به ، فإن أكل ذلك وأنفقه فقليل
والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد

رزقا حلالا غيره لأن الله عز وجل قد تكفل بالرزق لعباده وان أبقاه لورثته من بعده ، فيالها من حسرة عليه ونقص في دينه .

وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه في قول الله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها (١) » . قال يعني فيما ترك في ماله أن يخرج منه ما افترض الله عز وجل فيه عليه هيات والله قد حيل بينه وبين ذلك وقال : « ومن لم يؤد زكاته لم تقبل صلاته » وقال الله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » الى قوله « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢) » فلم يوجب لهم أن يكونوا مسلمين (٣) حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .

وقال جعفر بن محمد ص . ع : ما خان الله زكاة ماله الا مشرك . وقال الله عز وجل « فويل

(١) المؤمنون ٩٩/٢٢ - ١٠٠ .

(٢) التوبة ٥/٩ .

(٣) بنسفة (هـ) مسكن .

للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة • ومن أعطى من ذلك غير أهله فلم يؤته كما بينا فيما تقدم ذكره في هذا الباب • فادوا أيها المؤمنون ما افترضه الله عليكم في أموالكم الى أئمتكم واعلموا أن أنفسكم لا محالة أشد شيء مكابرة لكم وامتناعا في ذلك عليكم فاغلبوها عليه ، فان الله يقول « ولستم بأخذيه الا أن تغمضوا فيه (١) » وقال : ان النفس لأمارة بالسوء » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « الهوى اله معبود » وتلا قول الله « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » وقال ان الصدقة لا تخرج من يد المؤمن حتى يفك عنها لحيا سبعين شيطانا كلهم يشبط عنها ويأمر بحبسها ، وقال الله تعالى : « ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (٢) » وقد ذكرنا فيما تقدم أن مال المرء هو الباقي له بعد اخراج الواجب مما في يديه فلم يسأل الله عباده ذلك ، ولكنهم ان تطوعوا منه بشيء كان له ثوابه ، ولو قطع عز وجل هذا الذي ذكره في كتابه لكان منه تقريع وتبكيت لعباده ، فكيف وقد قال بعده : « ها

(١) البقرة ٢/٢٢٧ •

(٢) محمد ٤٧/٣٧ •

أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من
يَبْخُلُ ومن يَبْخُلُ فأنما يَبْخُلُ عَنْ نفسه والله الغني
وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم
لا يكونوا أمثالكم (١) « فَاغْلِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا
افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَامْلِكُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ وَلَا
تَتَخَذُوا هَاهُنَا لَكُمْ ، وَاخْسَأُوا عَنْكُمْ شَيْطَانِيَكُمْ ،
وَأَمَّا تَعْطُونَ جِزَاءَ مَا أَعْطَاكُمُ اللَّهُ قَدْ أَتَيْتُمْكُمْ
عَلَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ سَبِيلًا إِلَيْهِ »

واعلموا أن قول الله عز وجل : « واعلموا أن
ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول » يقع
على كل شيء أصبتموه واكتسبتموه وصار اليكم
وغنمتموه من كسبكم أو عمل أيديكم أو ما ساقه
اليكم ورزقكموه أو بما أنالكم أئمتكم وأعطوكموه ،
فعليكم اخراج خمس ذلك على ما ذكرناه مما قل أو
كثر منه ودفعه الى أئمتكم أو من أقاموه (٢) لقبضه
منكم فريضة فرضها الله لهم عليكم ، أعاننا الله
وأيامكم على أداء فريضته وأعاذنا من خيانتته
وخيانة رسوله وأوليائه »

(١) محمد ٢٨/٢٧

(٢) بلصقة (هـ) قاموه

(١١)

ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم
في جميع الأمور الى الأئمة

قال الله جل ذكره : « أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الامر منكم » وقال تباركت أسماؤه :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما (١) » فالتسليم هو الطاعة ظاهرة
وباطنة لمن أوجب الله طاعته ، وقرنها بطاعته جل
ثناؤه وهو رسوله (صلح) والأئمة من أهل بيته ،
فينبغي لجميع الأمة أن يسلموا لهم ويتلقوا بالقبول
ما كان منهم بظاهر لفظهم ، واعتقاد قلوبهم
وعلائيتهم وسرهم ، فيما أحبوه أو كرهوه أو رضوه

(١) النساء ٦٥/٤

أو سخطوه أو عرفوه أم أنكروه حتى يعود عندهم
المكروه لديهم من ذلك محبوبا ، والسخط رضاء ،
والانكار معرفة ، وإن لم تكن معرفة بتحقيق فلتكن
معرفة بتسليم واقرار منهم بالعجز والتخلف والجهل
عن حقيقة تلك المعرفة ، وأن الذي كان من الأئمة
صلوات الله عليهم حق وصواب وصدق ، وإن كان
ذلك في أنفسهم وهم يعلمون براءتهم مما عسى أن
عوقبوا أو قرنوا به ، فليعلموا ويوقنوا عجزهم عن
ادراك ما في أنفسهم ، فإن الأئمة صلوات الله عليهم
أعلم بذلك لأنهم بنور الله عز وجل ينظرون
وبأحكامه يقضون ويحكمون ، وأكثر من ضل عن
الهدى لا يرى أنه ضل بل يحسب أنه على حق
وصواب وهدى . قال الله عز وجل في قوم هذه
حالهم : « ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم
الكاذبون » . وقال تعالى : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا
في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون (١) » .

وهذا باب ثقیل محمله صعب (٢) مأخذه وبقدر

(١) البقرة ١١/٢ - ١٢ .

(٢) بنسفة (م) عسير .

ذلك تكون درجة حامله ومعتقديه والآخذ به وبمثله امتحن العالم موسى عليه السلام لما أراد صحبته ، وقد روي أن رجلا من أهل الشام أتى ابن عباس فسأله عن أفعال كانت لعلي عليه السلام في حربه فقال له ابن عباس : سل عما يعنيك . فقال له الشامي : اني لم آتاك من حمص لحج ولا عمرة ، ولا أتيتك الا لشرح ما سألتك عنه من أمر علي فقال له ابن عباس : ان علم العالم صعب لا يحتمل ولا تقر به قلوب أكثر الناس ، ان مثل علي فيكم كمثّل العالم وموسى قال الله تعالى لموسى لما سأله النظر اليه يا موسى اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين .

وقال : وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا ، فظن موسى عليه السلام أنه بلغ غاية العلم كما ظننتم أنتم ان علماءكم قد بلغوا ذلك وأثبتوه لكم ، فأراه الله عجزه بامتحان العالم اياه وصحبته له ، فلما خرق العالم السفينة عن علم بذلك كان خرقه اياه برضى الله وسخط موسى عليه السلام وجهله ، وقتل العالم الغلام عن علم ، فكان قتله لله رضا وسخط موسى وأقام العالم

الجدار بعلم وكانت اقامته اياه لله رضا وسخط
موسى ذلك وجهله ، ثم بين له العالم ذلك وأوقفه
عليه كما ذكر الله تعالى في كتابه ، وبين ابن عباس
للرجل أمر ما سأله عنه ، ولو سلم ذلك لعلي صلوات
الله عليه ولم يتمقبه من أمره ولم ينكره من فعله
لكان ذلك أفضل ، وهو كان الواجب عليه كما أن
ذلك كان الواجب على موسى .

وقد اجتمعت الأمة أنه لا يجوز ولا ينبغي لأحد
أن يتمقب ولا ينكر ما جاء به الرسول (صلعم)
بل الواجب على الخلق تلقي ما جاء عنه بالقبول
لقول الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهاوا » . وقال تبارك أسماؤه « فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسلية فآخبر عز وجل أنهم ان لم يسلموا له
لم يكونوا مؤمنين وأن ذلك التسليم لا يكون باللسان
الظاهر حتى يعتقد بالقلب ولا يكون في النفس منه
حرج . وكذلك ينبغي التسليم للأئمة ولا يجوز ولا
يحل تعقب أفعالهم ولا انكارها بل الذي يجب أن
يتلقى ما يكون منهم بالقبول ظاهرا وباطنا ونية
واعتقادا وقولا وفعلًا لأن الله عز وجل قرن طاعتهم

بطاعة رسوله وجعلهم خلفاء للأمة من بعده وهذا أصعب ما حمل المؤمنون ، وبقدر ما يحتملون منه تكون درجاتهم عند الله وعند أولياء الله ، ولذلك قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « لا يحتمل امرنا ويقوم به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو نحن أو من ارتضى الله من عبادہ » فأما ما ذكره صلوات الله عليه من احتمال الملائكة والنبیین فلما يكون من عند الله تعالى ، وأما ما ذكره من احتمال الأئمة فلما يكون من الله تعالى ومن رسوله (صلعم) وأما ما ذكره من احتمال العباد فلما يكون من الله عز وجل ومن رسوله ومنهم صلوات الله عليهم ، وقد فسر ذلك وبينه في حديث آخر قال فيه : « أمر الله ورسوله (صلعم) بطاعته عز وجل وأمرنا بطاعته وطاعة رسوله وأمر الناس جميعا بطاعته وطاعة رسوله وطاعتنا » فقال للنبي « اتق الله » وقال لنا « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقال للناس « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فينبغي لاتباع الأئمة خاصة ولعامة الناس (١) كافة أن يجهدوا أنفسهم ويدأبوا في رضاء خالقهم

(١) بنسبة (هـ) وللناس عامة .

وطاعته وطاعة رسوله والأئمة من ذريته وينصحوهم
لهم ويؤدوا لهم أمانتهم كما افترض الله عليهم ،
ويلزموا الحذر والتحفظ من السقوط عندهم ،
ويجتنبوا ما خالف محبوبهم ووقع بغير الموافقة
عندهم ، فإن رأوا أنهم قد قاموا بذلك ووفوا
شرائطه ووقفوا على حدوده ، ولم يكن فيما بينهم
وبين الله جل ذكره ما يتوقعون له أمرا يكرهونه
منه ولا من أوليائه (صلعم) ، فنزل بهم أمر من
الله تعالى أو من أوليائه صلوات الله عليهم فيه لهم
عقوبة أو امتحان بأي وجه جرى ذلك ، وكان ذلك
في أمر ينكرونه أو يكرهونه من جميع الأمور لم
ينكروا من ذلك شيئا بظاهر أمورهم ولا باطنها ،
ويسلموا لأمر الله ولأوليائه قوة وفعلا واعتقادا
ونية ، وأيقنوا أن ذلك عدل من الله ومن أوليائه
وصواب كله فإن الذي ينالهم منه هم أهله أو أكثر
منه ، وأن الذي عفا الله لهم وأوليأؤه أعظم مما
نالهم منه .

واعلموا أن الله سبحانه لا يجري على أيدي
أوليائه عقوبة إلا لمن استحقها ، ولا أمرا إلا ما
يرضاه ، فليحمد الله إذ عجل له بالعقوبة في الدنيا
ولم يؤخرها إلى الآخرة ، إذ كانت الآخرة أشد

عذابا وأبقى ، وإن جعل عقوبتهم في دار الدنيا التي جعل فيها عقوبة أوليائه وأصفياه وثواب من رأى أن يثيبه من أعدائه لئلا يتلقاه ولي له وعليه تباعة ولا عدو وله حسنة ، وقد عاقب كثيرا من أنبيائه في عاجل الدنيا بذنوب صفائر يعمل كثير من الناس أمثالها فلا يعاقبون في الدنيا عليها ومن عوقب منهم بها فلمله لا يدري بأي أسباب العقوبة كانت عنها •

وقد جاء عن الأئمة صلوات الله عليهم ذكر أسباب ما عاقب الله عز وجل عليه سليمان وأيوب ويعقوب ويونس وأن ذلك لصفائر كانت بينهم من الذنوب يخرج عن حد هذا الكتاب لو ذكرناه لطال الإخبار عنها لولا أن ذلك روي لما علم أن مثل تلك العقوبات العظيمة كانت من أجل تلك الذنوب وكذلك يعاقب المؤمن في الدنيا بما لعله لا يعلم كثيرا من أسباب ما يعاقب به فيها ، وقد قال الله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « ما توقون أكثر مما تلقون » وسئل

(١) سورة الشورى ٣٩/٤٢ •

عن قوله تعالى « ومن يعمل سوءا يجز به » فقليل له
يا رسول الله لان كنا نجزي في الآخرة بكل سوء
عملناه في الدنيا لقد هلكنا . فقال : ليس الأمور
كما تظنون ، أما تصابون في الدنيا بمصائب ، أما
تألمون أما تحزنون أما تصيبكم الآفات . قالوا :
بلى يا رسول الله . قال : فذلكم ما تجزون به ،
وقد جاء في بعض الاخبار أن رجلا حج فبينما هو
يطوف اذ نظر بامرأة (١) في الطواف بين يديه
فأعجبه ما رأى من خلفها ، فوضع يده على عجزتها
فغمزها بها ، فقالت : من هذا الذي يمس مني في
هذا الموضع ما حرم الله قطع الله يده ، فأنصرف
الرجل من يومه الى منى وبات في رحله فبينما هو
نائم اذ ثارت صيحة على سارق سرق متاعا لبعض
الحجيج وذهب ليشد به وأصحابه في الطلب له في
ظلمة الليل فأنبه الرجل في الصيحة وقام قائما
فوافى السارق فرمى بالمتاع في وجهه وهرب ولحق
القوم الرجل والمتاع في يده فأخبرهم الخبر فلم
يقبلوا منه ، وقالوا : ما السارق غيرك !! ومضوا به
الى السلطان وشهد عليه من رأى المتاع في يده

(١) بنسفة (هـ) مراره .

فقطعها ، فعلم الرجل أن ذلك عقوبة بما فعله في
يومه ذلك ولو طال ذلك عليه لاشتبه عليه فيه ،
وكذلك من نالته عقوبة من الله أو من أوليائه وهو
عند نفسه بريء منها لعد ذلك كأن لذنوب غير
الذنب الذي قرف به ورأى أنه بريء منه ، وقد
يفغر الله عز وجل ويعفو عن عباده ما شاء من
الذنوب في أجل الدنيا وأجل الآخرة ، ويمجل من
ذلك عقوبة ما شاء ويؤخر عقوبة ما أراد ، فله
الحجة على من عاقبه والفضل على من رحمه ، فمن
غفر ذنبه في الدنيا والآخرة ، فقد أكمل العفو
عنه ، وأسبغ عليه النعمة ، ومن عجل عقوبته في
الدنيا فقد خفف عنه العقوبة ، ومن عاقبه في الآخرة
فقد عاقبه بما يستحقه وله جل ذكره الحجة البالغة .

(١٢)

ذكر الخوف من الأئمة صلوات الله عليهم والحدز
من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم

ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف
ربه ، ويتقيهم كما يتقي الله ، اذ كان الله عز
وجل قد قرن طاعتهم بطاعته وجعلهم الوسائط
فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عباده ،
فرضاهم موصول برضاء الله ، وسخطهم معقود
بسخطه ، وبهم يثيب وبهم يعاقب .

قال جعفر بن محمد : « والله ما هو الا الله عز
وجل » وأوما بيده الى السماء ، « ونحن » وأوما
بيده الى نفسه ، وشيعتنا منا وسائر الناس في
النار (١) ، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا
يعصى الله من أطاانا فقد أطاع الله ومن عصانا
فقد عصى الله سبقت طاعتنا عزيمة من الله الى

(١) بفسحة (م) في جهنم .

خلقه أنه لا يقبل من أحد عملاً إلا بنا ، فنحن باب
الله وحجته وأمانؤه على خلقه ، وحفظة سره
ومستودع علمه . فالواجب على جميع العباد
التقرب بالطاعة الى أولياء الله والتزين بالأعمال
الصالحة عندهم ، واتباع ما أمروا به ، واجتناب ما
نهوا عنه ، والعمل بما يرضيهم ، ويزكو لديهم
ويزلف به اليهم والخوف منهم ، اذ كان ذلك من
القربات الى الله جل ذكره ، وقد وعد الله الخائفين
منه جنته .

وجاء في الحديث أنه « من لم يخف من الناس لم
يخف من الله » فهم الناس ههنا . كما قال جعفر بن
محمد صلوات الله عليه « نحن الناس المحسودون
على ما أتانا الله من الامامة وأحق الناس بالخوف
من الأئمة من عرف مكانهم من الله » قال الله تعالى :
« انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال :
« واتقون يا أولي الألباب » وأحقهم بذلك منهم من
قرب مكانه ودنت منزلته من أولياء الله وعظم لديه
فضلهم واحسانهم كما أن الملائكة المقربين أعظم
خوفا من الله وأشد اجتهادا وعبادة له من سائر
الناس ، وأكثر ما يجب الخوف على من في يده شيء
يخاف انتزاعه منه كما جاء عن المسيح عليه السلام

أن بعض الحواريين صحبه في السياحة (١) فمرا في
مفازة فجعل ذلك الحواري يكثر عليه ذكر الخوف
من تلك المفازة ، فلما أكثر عليه من ذلك قال له
المسيح عليه السلام أمك شيء ؟ قال : نعم .
وأخرج قطعة من ذهب فقال : ارمها ، فرمى بها
وسار فلم يقل شيئا فلما تناسى ذلك قال عيسى ان
هذا المكان يخاف فيه . قال الحواري : وما معنا
يا روح الله فنخاف .

فينبغي لمن زاده الامام منه قريبا أن يزداد له
تعظيما ومنه خوفا ، ولا يرى من تحفظ عند نفسه
من السقوط وتعفف عن المحارم وتنزه عن الشبهات
ورعى أمانته وعهده وبذل مجهوده انه قد أمن
فيطرح الخوف ويدع المراقبة فان التهاون من رأس
الخطايا وأن الملائكة الذين هم أكثر العباد خوفا من
الله واجتهادا في طاعته لا ذنوب لهم ولكنهم يخافونها
على أنفسهم ويتقونها ، ومن لم يخف شيئا أمنه
أو اذا أمنه تهاون به ، وفي الخوف من الأئمة تعظيم
أمرهم واجلال قدرهم ، وفي استشعار ذلك والمحافظة
غليه وكونه نصب الأعين وفي سويداء القلوب وعين

(١) بنسفة (هـ) سياحته .

الفكرة وحديث الانفس ما يؤمن معه الزلل المردي
 عندهم ، المسقط المنزلة لديهم ، المزيل نعمتهم
 عن أنعموا بها عليه ، فلم يرعها حق رعايتها
 الموجب مقتهم نعوذ بالله من ذلك ومن دواعيه ومن
 كل عمل يوجب ويدني اليه ، وانما يؤتي أكثر من
 يؤتي من الثقة بنفسه والاعجاب بعمله وقرب
 منزلته وما يختص به وبذريعة يرى أنه يتقرب بها
 ووسيلة يتوهم أنه يتوسل بسببها ومكان يقدر أنه
 يستحقه ، ودنو يخيّل اليه أنه يوجب حقا وحرمة
 له ، وقد بينت في غير موضع من هذا الكتاب بأنه
 ليس لأحد على أولياء الله حق ولا ايجاب وانما
 نال العباد لما نالوه عندهم تفضلا من الله ومنة عليهم ،
 وانما يقرب منهم ويدني اليهم ويرضيهم ويزكي
 عندهم الاعمال الصالحة ، وأبعد الناس منهم أهل
 المعاصي والعدوان وان تقربوا اليهم بالأرحام
 والذنو والمنازل والمكان ، وكم من قريب منهم بعيد
 من قلوبهم ، ودان اليهم شاسع عن محبوبهم ، نعوذ
 بالله من حال من هذه حاله ، فان من لا يعرفونه ولا
 يعرفهم وان ساءت حاله عند الله وبعد من رحمته
 أحسن حالا على سوء حاله ممن هذه أحواله ، فتقربوا
 أيها المؤمنون الى أئمتكم بصالح الاعمال ، وخافوهم

واخشوهم في جميع الاحوال ولا تفتروا منهم بالقرب والدنو والاعمال ، تقربوا اليهم بما يقربكم من قلوبهم ويدنيكم مما يرضيهم ولا تتكلموا على قرب الأبدان (١) دون القلوب ، وتهاونوا بارتكاب المعاصي واتيان الذنوب ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه ذكر سوابق الاعمال فقال فيها : « وحب أهل بيتي حقا من قبل القلوب لا الزحم بالمناكب ومفارقة القلوب » فلا يرى منكم من قرب اليهم ببذنه أنه قريب اذا باعده منهم عمله . فان من الواجب على ما جاء في هذا الباب أن يكون اخوف الناس من الذنوب وأرجاهم للثواب من قرب منهم ولصق بهم ودنا اليهم ، وان كان ذلك محنة على الشاسع والداني فانه ينبغي أن يكون أخوف الناس من النار من قرب منها وأشوقهم الى الجنة من دنا اليها ، ثم لا تقنطوا مع الخوف منهم من رحمتهم ، ولا تياسوا ان عملتم سوءا فتبتم منه اليهم وانتصلتم من عفوهم وشفاعتهم فانه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن منه ولا يخافه الا الجاهلون ، وهم أبواب الله وأسبابه والوسائط بينه وبين عبادته .

(١) بنسفة (هـ) الاجسام .

(١٣)

ذكر ما ينبغي من تولى من والى الأئمة ومحبة
وعداوة من عاداهم وقطيعة وبغضه

قال الله عز وجل ووصف المؤمنين من عباده
« أشداء على الكفار رحماء بينهم » وقال : انما
المؤمنون اخوة ، وقال : « لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله (١) »
الى آخر السورة (٢) وقال : يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم
بالمودة « .. الى قوله .. » ومن يتولاهم منكم
فأولئك هم الظالمون » .

وقال رسول الله (صلح) في علي عليه السلام :
« اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فمن عاداه

(١) سورة المجادلة ٢٢/٥٧ .

(٢) بنسبة (م) الآية .

الله عز وجل وأمر بعداوته في كتابه وعلى لسان
رسوله ونهى عن ولايته ومحبته ولو كان من الآباء
والابناء والعشائر وكان من الأقرباء ، فحقيق على
من عرف الله عداوته بترك الميل اليه والمودة له
في ظاهر وفي باطن ، ولا على قرب ولا على بعد ،
ولا لرجاء ولا خوف ، وقد قال الصادق جعفر بن
محمد صلوات الله عليه « من أحب أن يعرف محبنا
من مبغضنا فليتنظر الى أهل مودته فانه لا يجتمع
حبنا وحب عدونا في قلب مؤمن » وقد قدمت في هذا
الكتاب ما يجب على العباد من محبة أولياء الله ،
واخلاص القلوب واعتقاد الضمائر والنيات ، فعلى
ذلك ينبغي أن يكونوا وعلى ما ذكرناه في هذا
الباب من البراءة من أعدائهم واعتقاد عداوتهم ما
داموا على النصب والعداوة لهم ، وترك مودتهم
والميل والركون اليهم ، لقول الله جل ذكره « ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار (١) » ،
وأظلم الظالمين من نصب لأولياء الله وعاداهم .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله
عليه شيعته فقال : « شيعتنا من أدنى البعداء

(١) سورة هود ١١٣/١١ .

ووالاهم على مودتنا ، وفارق الاهل والاقرباء في
 عداوتنا ، شيعتنا من اذا رضىنا رضى واذا سخطنا
 سخط واذا خفنا خاف واذا أمنا أمن ، شيعتنا من
 لا يوالي لنا عدوا ولا يعادي لنا وليا « وهكذا
 تكونون يا أتباع أولياء الله المتدينين بامامتهم ،
 وميزوا الناس بقلوبكم وانتقدوهم واعلموا أن
 جميع الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، الا أن أهل
 كل صنف منهم يتفاضلون ولا يدرك علم يميزهم
 حتى يكونوا أصنافا معروفين وعلى طبقات
 موصوفين ، لتفاوت الهمم والعقول والمعرفة
 والاعتقاد والاذهان عن هذا التحصيل ، فالطبقة
 الأولى أهل ولاية الأئمة على درجاتهم في ذلك
 وطبقاتهم ومنازلهم ، والطبقة الثانية أهل عداوتهم
 على منازلهم في العداوة وأحوالهم في النصب ،
 والطبقة الثالثة قوم مستضعفون مذذبون بين ذلك
 كما قال الله عز وجل : « لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »
 لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا فأولئك « كالأنعام
 بل هم أضل سبيلا (١) » على أنهم مع ذلك أحسن
 حالا وان ساءت أحوالهم ممن نصب العداوة لأولياء
 فينبغي لمن ميز الناس وانتقدهم هذا الانتقاد ،

وعرفهم هذه المعرفة أن ينزل كل أمرى منهم عنده
بحيث أنزل نفسه وأنزله الله فيوالي من يوالي
أولياء الله ويعادي من عاداهم ويرشد المستضعف
ويهديه ويبصره ، وإن سمع الحق أقبل عليه وأصغى
إليه بقلبه ، ويدعو عدوه ويحتج عليه بعمله ، ولا
يجعل له حجة عليه ، فيكون فتنة له كما قدمنا
ذكره قبل هذا الباب في هذا الكتاب ، ويجري في ذلك
ويمثل فعل امامه وأمره ، ويسير بسيرته في المباينة
والمداخاة والمكاشفة والمداراة ، لا يتعدى في ذلك
أمره ولا يتجاوز فيه نهيه ، ويكون اعتقاده على ما
قدمنا ذكره .

قال أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه
ووصف شيعته فقال : « شيعتنا من لا يمدح لنا
معيبا ، ولا يواصل لنا مبغضا ولا يجالس لنا قاليا ،
إن لقي مؤمنا أكرمه ، وإن لقي جاهلا هجره ،
شيعتنا من قال قولنا ، وفارق أحبته فينا ، وأدنى
البعداء في حبنا ، وأبعد الأقرباء في بغضنا ، شيعتنا
المنذرون في الأرض سرج وعلامات ونور لمن طلب
ما طلبوا ، وقادة لأهل طاعة الله ، وشهداء على من
خالفهم ، ممن ادعى دعواهم سكن لمن آتاهم لطفاء
بمن والاهم سمحاء أعفاء رحماء ، هذه صفتهم في

التوراة والانجيل والقرآن العظيم ، ان الرجل العالم من شيعتنا اذا حفظ لسانه وطاب نفسا بطاعة الله وأظهر المكايدة (١) لعدوه بقلبه ، ويغدو خين يغدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبدي ما في نفسه لهم ، ينظر بعينه الى أعمالهم الردية ، ويسمع بأذنه مساويهم ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم أولياؤه ، ومحبوهم أعداؤه ، في كلام طويل ذكره صلوات الله عليه . فكونوا كما وصفكم الله وأولياؤه أيها المؤمنون عادوا في الله ووالوا في الله واقتدوا بأوليائكم واتبعوا أمر أئمتكم وأبدوا ما يبدونه واعتقدوا ما يعتقدون فانما جعلهم الله عز وجل لكم أئمة لتأتموا بهم ، وتمثلوا أمرهم وتعادوا من عاداهم ، وتوالوا من والاهم ، وتحبوا من أحبوه ، وتبغضوا من أبغضوه ، من ولي أو عدو أو قريب أو بعيد ، وتعتقدوا ذلك لله ولوجهه فان ما يكون لله لا يشوبه الهوى ولا يدخله المراء والرياء . وفقنا الله وإياكم لمحابه وجنبنا وإياكم بسخطه .

تم الجزء الاول من كتاب الهمة بحمد الله وفضله
ويتلوه الجزء الثاني من كتاب الهمة

(١) بنسخة (م) العداوة .

الجزء الثاني
من كتاب الهمّة



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

(١)

ذكر التسليم وترك الاعتراض على الأئمة
فيما يولون من يتالفونه من الأمة

وقد ذكر الله عز وجل المؤلفه قلوبهم في كتابه ،
وجعل لهم سهما في الصدقات يتألفون به ذكره في
ايجابه ، وجعل للنبي صلى الله عليه وعلى آله في
عصره ولكل امام في دهره ، اعطاءهم من ذلك ما
يتألفون على الاسلام به ، وهم وجوه القبائل
ورؤساء العشائر الذين يخشى جانبهم ويرجى
بأستمالتهم استمالة أتباعهم .

وقد روي أن عليا صلوات عليه بعث الى رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله ما لا من اليمن فقسمه

رسول الله صلح بين الأقرع بن حابس (١) وعيينة
 ابن حصن وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة وعامر بن
 الطفيل وهؤلاء رؤساء عشائرهم ، ومقدمو قبائلهم
 وهم من المؤلفة قلوبهم ، فوجد من ذلك ناس من
 أصحاب رسول الله صلح وقالوا : نحن كنا أحق
 بهذا • فبلغ ذلك رسول الله (صلح) فوبخهم فيه
 وقال : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني
 خبرها صباحا ومساء • فكسر ذلك منهم ، واعتذروا
 إليه واستغفروا مما كان منهم ، وأنه صلى الله
 عليه وعلى آله لما قسم غنائم حنين أعطى الأقرع
 ابن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة بن حصن
 مائة أخرى ، فبلغ ذلك الانصار فوجدوا منه في
 أنفسهم وقالوا : آوينا ونصرنا وبذلنا أنفسنا
 وقتلنا ، فلما جاءت الدنيا يورثها رسول الله
 (صلح) أقواما قريب عهدهم بالاسلام لم يدخلوا
 فيه بحقيقة ولا لهم فيه عناء ولا جهاد وكثر كلامهم
 في ذلك ، فبلغ النبي (صلح) فأرسل الى سعد بن
 عبادة فقال : ما كلام بلغني من قومك الانصار ؟
 فقال : قد كان الذي بلغك يا رسول الله • قال :

(١) بلسغة (م) عابس •

فما كان منك أنت في ذلك ؟ فسكت وقال : لتقولن .
 فقال : يا رسول الله ما أنا الا رجل من قومي .
 فجمعهم النبي صلى الله عليه فلما اجتمعوا قال :
 ما هذا الذي بلغني عنكم معشر الانصار ؟ قالوا :
 قد كان ما بلغك يا رسول الله . فقال : أما الذي
 قلتم انكم اويتم ونصرتم وجاهدتم فقد صدقتم
 ولئن قلت اني أصبتكم ضلالا فهداكم الله ربي ،
 وأذلة فأعزكم بمكاني ، وفقراء فأغناكم بأسبابي
 لقد صدقت ، أفما ترضون اني أعطيت قوما من
 الدنيا ووكلتكم الى دينكم ، وأن الناس ينصرفون
 بالشاة والبعير وتنصرفون أنتم بي الى منازلكم
 ورسول الله راض عنكم . فبكوا وقالوا : رضينا
 يا رسول الله فاستغفر لنا ربك ما كان منا فقال :
 يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فهذا أمر قد اعترى قديما أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه ضرب الحسد فيه وأغراهم الشيطان
 به فغارت أنفسهم (١) بما رأوه من فعل رسول الله
 صلى الله عليه وعلى آله بمن رأوا أنهم أحق منهم
 بما أنالهم منهم وأنهم أقدم جهادا وأكثر في الاسلام .

(١) بنسفة (هـ) لغساتهم .

عناء وأصلح اعتقادا واسلاما فمن أناله رسول الله
 (صلح) ما أناله ممن أراد أن يتألفه بذلك على
 الاسلام ويحببه إليه لما رأى (صلح) وعلى آله أن
 له في ذلك للاسلام صلاحا وللمسلمين ، ولم يفعل
 ذلك (صلح) الا عن أمر ربه وبوحيه جل ذكره ،
 وبعد أن نطق الكتاب به ولذلك قال لهم (صلح) :
 « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبرها
 صباحا ومساء » والمؤلفة قلوبهم اليوم أكثر عددا
 والأئمة صلوات الله عليهم يمثلون في أمرهم ما
 أمر الله عز وجل ومنة رسوله (صلح) ، ويعطونهم
 كمثل ما أعطاهم رسول الله (صلح) ويقربونهم
 ويدنونهم كما أدنى رسول الله (صلح) من أدناه
 منهم ، حتى أنه بسط لبعضهم رداءه فأجلسه عليه
 وقال : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . ويعفون
 ويصفحون صلوات الله عليهم عن كثير ممن قدروا
 عليه ممن نصب لهم وحاربهم وأعان عليهم ، اقتداء
 بسنة جدتهم محمد (صلح) وعلى آله فقد ناله من
 قريش ومن بمكة من الأذى ما قد علمه الله ، فلما
 أظفره الله بهم وأظهره عليهم عفا وصفح عنهم .

وكثير من أتباع الأئمة الا من عصمه الله ينكر
 قلبه ذلك وتغار نفسه به ، ويعتريه فيه ما اعتري

من ذكرناه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله سيما من وتروه ونالوا منه ، أو من كان
له معهم موقف في الحرب أو نالته منهم محنة فهو
يرى أنه أحق بما نالوه منهم فيحدث بذلك نفسه ،
ومن عسى أن يفشي إليه سره ، فيقولون في ذلك
ويكثرون ويتعقبون على الأئمة وينكرون ، وهذا
من أعظم وصمات تدخل عليهم في الدين ، وقد
ذكرت فيما تقدم ما يجب على الأئمة لأولياء الله من
التسليم وتلقى ما يكون منهم بالرضا والقبول فيما
عرف وأنكر وساء وسر ونفع وضر ، ولو تدبر
هؤلاء المنكرون فعل الأئمة ما فعلوه من ذلك حق
تدبره ، ونظروا بعين الانصاف إليه لعلموا أن الله
تعالى أعزهم بأوليائه وأنعم عليهم بهم وشرفهم
بإمامتهم ، ورفعهم بسلطانهم ، وأعزهم بجانبهم كما
قال رسول الله للانصار يوم خاطبهم بمثل ذلك •
وان الذي يحتمله أولياء الله من تكلف ما يتكلفونه
لمن يتألفونه أشد محملا وأصعب مرتقى من تسليم
هؤلاء ان أسلموا ذلك اليهم لما في ذلك من كظم
غيزهم والصفح عن جنى عليهم ، وتعدى أمر الله
فيهم وتقدم بالمكروه اليهم والى من قبلهم من الأئمة ،
وأنال أولياءهم المكروه بأسبابهم فيهم •

والأئمة (صلح) أغم بأوليائهم وما ينالهم في ذات الله من أعدائهم من أوليائهم بأنفسهم وذرائعهم وأبائهم ، وأن جنائية من غمضوا عن جنائته وقبلوا رجوعه واناوبته أشد عليهم من جنائتهم على هؤلاء المنكرين أمرهم ، ولنظرة بالمكروه الى ولي من أولياء الله أعظم عند الله من قتل ملاً من الناس ، ولكن أولياء الله يرجعون في ذلك الى أمر ربهم ولا يتعدون ما به أمرهم ويقتفون سيرة جدهم وأبائهم ويرجعون الى ما جبلهم الله عليه من الصبر والعفو والاحسان والرحمة ، فينبغي لمن اعترض عليه ما قدمنا ذكره من انكار ما يكون منهم في هذا الباب وغيره ، أن يستغفر الله منه ويرجع عنه الى التسليم لهم والرضاء بفعلهم وترك التعقب والانكار عليهم ، واعتقاد ذلك بقلبه واخلاص نيته فيه ، ويعلم بأن كل ما يفعله الأئمة صلوات الله عليهم صواب ورضا لله وحكمة من حكمه أودعهم اياها وأيدهم بها ووفقهم لها فما يدري متعقب ذلك ومنكره أن ذلك لو لم يفعله أولياء الله عليهم السلام وأبقى ذلك المتألف على فتنته أن ذلك المتعقب المنكر يكون صريح تلك الفتنة وقتيل حربها وماله غنيمة لها وأهله سباياها ، أعاذ الله أوليائه ومن يتولاها من

غلبة عدوهم ، وأظهرهم على من ناوهم وما أكثر ما يريد أولياء الله بما يتألفون الناس له الا للبقيا على أوليائهم وأنصارهم ، وحقن دمائهم وترك التعرض الى المتألف بهم اشفاقا منهم عليهم وطلبنا لسلامتهم ورغبة في حفظهم ودعتهم ، اذ كانوا أراف بهم من آبائهم (١) وأمهاتهم ، وأشفق عليهم منهم على أنفسهم ، فينبغي لهم معرفة حق ذلك وشكره بمنتهى طاقتهم ، وأن يعلموا أن شكرهم لا يبلغ وان أطنبوا فيه بعض حق انعامهم عليهم واحسانهم اليهم ولا يفيء من ذلك بشيء عنهم ألا أن الله سبحانه قد تعبد خلقه بالشكر فيه ، فليقتضوا حق ما تعبدهم به .

وقد ذكرنا ما يجب من شكر انعام الأئمة فيما قبل هذا ، فاحكموا أيها المؤمنون (٢) أمر هذا وما هو في معناه وما يجري مجراه من أنفسكم وخذوها به وحاسبوها عليه ، وادفعوا عنها ما اعترض عليها منه بالنظر فيما ذكرنا وتمثيل ما مثلناه ، واعلموا أن لأولياء الله فيما استرعاهم الله عز وجل من

(١) بنسخة (م) ابوابهم .

(٢) بنسخة (هـ) مؤامرين .

أمور عبادہ نظرا یھدیهم الی الصواب فیہ ، وتدیبرا
یوفقهم الی الرشاد ، وفعلایحسن العواقب لھم
وللعباد من أجلہ ، تنکرہ قلوب کثیر من العباد کما
أنکر موسی علیہ السلام ما کان من العالم وهو
صواب عند اللہ ، وقد قدمنا فی الباب الذی أجرینا
ذکر ذلک فیہ ما یدخل فی هذا المعنی وینبغي استعمالہ
فیہ واللہ الموفق للصواب برحمته والتوفیق بکرمہ .

(٢)

ذكر الأمر بتحري ما وافق الأئمة صلوات الله عليهم والنهي عن اتیان ما خالفهم

ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن
يؤدبوا أنفسهم ويأخذوها في سرهم وعلايتهم بما
وافق أئمتهم ويحذروا خلافهم ، فقد قال الله عز
وجل لمن قرن طاعتهم بطاعته وأوجب لهم من الحق
من ذلك مثل ما أوجبه له ، « فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) »
وليعلموا أن احتمال الأئمة صلعم أياهم على خلاف
الموافقة ان احتملوهم على ذلك احتمال مشقة (٢)
واستثقال وفي ذلك سوء العاقبة في عاجل الدنيا أو
في أجل الآخرة أو فيهما معا ، فمن ثقل وشق عليهم

(١) النور ٢٣/٢٤ .

(٢) بنسخة (هـ) مشرقات .

فقد استحق مقتهم وتعرض لعقوبتهم ومقت الله
وعقوبته .

وقد قيل ان الانسان الثقيل أثقل من الحمل
الثقيل ، لأن الحمل الثقيل يحمله البدن والانسان
الثقيل انما يحمله الروح والروح أشرف من أن
يحمل ثقلا سيما أرواح الأئمة التي طهرها الله
وشرفها وعظمها وكرمها ، فالحذر الحذر عباد الله
من الجناية عليها بغير ما وافقها ، فان ذلك أعظم في
الاثم وأخوف من العقوبة ، وقل انسان من سائر
الناس يحتمل غيره على خلاف موافقته وان احتمله
لم يحتمله الا عن مشقة وبغضة واستثقال له . ولو
علم أحدكم هذا من نفسه عند من يساويه من
الناس ويشاكله ، أو من هو دونه لكان مما ينبغي
له أن يتلافى ذلك من نفسه ويحذر منه ولا يعرضها
للبغض والثقل عند أحد من الناس ، فكيف بأن
يعرضها لذلك عند من يرجون في الدنيا ثوابه وفي
الآخرة شفاعته ، ويتوقعون خوفه ويجتنبون تبعاته ،
وكيف لا تعلمون أنفسكم فيما يقربكم منه ويزلفكم
لديه ويحببكم اليه ويزكيكم عنده ، وفي ذلك لكم
خير الدنيا والآخرة والأمن من عقابهما ، فأجهدوا
أنفسكم في التحفظ من هذا وما هو في معناه غاية

الجهد ، وتحفظوا منه نهاية التحفظ ، وارعوه حق
 الرعاية تظفروا بخير الدنيا والآخرة ، واعلموا أن
 معرفة الانسان نفسه في هذه الاحوال انما يدرك ما
 يدرك منها ويعرفه بمقدار ما فيه من العقل والحاسة
 والنباهة (١) والأدب واليقظة ، والتاس يتفاضلون
 في ذلك بمقدار ما خول الله عز وجل كل امرئ
 منهم منه وخصه به وجعله فيه ، ولا يكلف الله
 نفسا الا ما آتاها ولكن ينبغي لكل امرئ منهم بذل
 المجهود في تحري الصواب على كل الاحوال، واستعمال
 ما لا شبهة فيه وترك ما فيه الشبهة ، فقد قال رسول
 الله (صلعم) : « الحلال بين والحرام بين وبينهما
 أمور مشتبهاة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ألا
 ان لكل ملك حمى وحمل الله محارمه ويوشك من
 يرعى حول الحمى أن يقع فيه » وفي هذا وقبوله
 عن رسول الله (صلعم) أدب وصلاح في أمور الدين
 والدنيا ، فينبغي للمؤمن أن يجري أموره كلها على
 هذا المجرى ، فما علمه ولم يشك فيه من خير آتاه
 ومن سوء اجتنبه ، وما شك فيه فلم يدر آخر هو
 أم شر أو حلال أو حرام توقف عنه ولم يقدم فيه
 على شبهة ، فعلى هذا ينبغي لمن أراد التقدم في

(١) بنسفة (هـ) والاحتباه .

مر من أمور الأئمة صلوات الله عليهم ويعلم أنه
يثقل عليهم أن يتأخر عنه ولا يتقدم فيه وإن علم
أنه يخف عليهم ويقع بموافقتهم تقدم له ، وما
شك فيه من ذلك توقف عنه إلا أن يضطر إليه ،
ولا يقف على صحيح علم فيه ولا يجد بدا منه
فيقدم المذرة الى امامه ويسأله العفو عن خطأ ان
كان في ذلك منه فان في تقديم الاعذار في ذلك ما
يوجب التخفيف وقد قيل لبعض أهل الادب متى
يكون الانسان خفيفا على القلب ؟ قال : اذا اعترف
وأخبر أنه ثقيل . وهذا من باب الاعتراف ،
والمعترف بالذنب يميل له القلب .

وقد قيل ان المعترف بالذنب كمن لا ذنب له
وقد قال الله تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب
عليهم (١) » وقد قيل ان [عسى] من الله وعد ؟
والله كما قال لا يخلف الميعاد . والاعتذار توبة ،
وقد قال الله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين » ومن أحبه الله حبه لخلقه . وكذلك
ترك التحفظ والهجوم على الشبهات كالإصرار على

(١) التوبة ١٠٢/٩ .

الذنوب ، على أن ما ذكرناه من هذا الوجه لا ينبغي الاعتذار الا عند الاضطرار كما قدمنا الشرط فيه وليس ينبغي استعماله في كل الاحوال ، فليس المعتذر ولا التائب من الذنب في الحقيقة كمن لا ذنب له ولتكن التوبة تمحيص وقد أحب الله التوبة ولم يحب أن يعصى ، فمن وجد مندوحة عما اشتبه عليه أو على ما أيقن بالخطأ فيه فينبغي له التخلف عنه والدخول فيما لا خطأ ولا شبهة فيه .

ومما ينبغي الاحتراس منه والتيقظ له أن يحذر كل الحذر من قرب من الأئمة أو بعد أن يرى أن له ذماما عندهم أو حرمة توجب حقاً عليهم أو عملاً يستحق له الثواب منهم فانه بما توسوس به النفوس من هذا وتميل اليه الخواطر الردية (١) هلك من هلك . وانما جعل الله عز وجل الحق والحرمة وأوجب الذمام على جميع الأمة لأولياء الله الذين تعبد العباد بطاعتهم . وجعل الحق والواجب لهم وأثاب عباده على القيام بذلك وعاقبهم على تركه فمن أحسن في أمرهم فلنفسه أحسن وبما أوجب الله عليه واقتضاه قام وثواب ربه على ذلك يرجوه ، فينبغي لمن وفق لذلك حمد الله عليه

(١) بلسغة (م) الروادئة .

والاعتراف بالمعجز والتقصير . وان بالغ في الاجتهاد فيه فان حق الله وحق أوليائه لا تدرك غايته . ولا تنتهي نهايته ، وحسب المجتهد فيه بلوغ مجهوده واستفراغ طاقته ولو بذل المؤمن في طاعة أولياء الله وخدمتهم والسعي لهم منتهى جهده ووسع طاقته عمر الدنيا كله لم يف بواجبهم ولم ينته كنه حقهم وانما يبلغ العباد رضاهم بفضلهم عليهم وتطولهم برضاء عنهم ويقبلون ما يقبلونه من أعمالهم لعلمهم باخلاص النيات وبذل المجهود لهم لا ان ذلك منتهى حقوقهم ونهاية واجبهم وكل من قربت منهم عند نفسه وسيلته ومست رحمته ودنت فيما يرى ذريعته فهو في الواجب في ذلك عليه والبعيد الذي لا سبب له بمنزلة واحدة لأن فرض الله على عباده واحد لا فضل فيه لقريب على بعيد ولا لفاضل على مفضول وأقرب الناس الى الله واليه صلوات الله عليهم من قربته أعماله الصالحة منهم فافهموا رحمكم الله هذا الباب وتدبروه ، وخذوا أنفسكم بما فيه وبكل أدب صالح تسمعون ، وفقنا الله وإياكم الى ما يرضيه .

(٣)

ذكر نهى أتباع الأئمة عن الحسد والبغي والشره والحقد وسوء الظن

أما البغي فقد تكفل الله بالنصر على أهله ،
ومن نصر الله تعالى عليه فهو لا محالة مغلوب في
العاجلة وفي منتهى الاجل منكوب . قال الله تعالى :
« ومن بغى عليه لينصرنه الله » فاياكم والتهاون
بوعيد الله والاستخفاف به بأن لا تروه نزل عاجلا
لمن تواعده الله به ، فانما يعجل من يخاف الفوت ،
ويخشى أن يسبقه الى من يريد الموت ، ومن أمهله
الله عز وجل وأملى له في دنياه أخذه بالوعيد ان
شاء بعد أمد أو في أخراه (١) ، وعذاب الله أشق
وأشد كما قال الله تعالى وأبقى ، وقد جاء أن رجلا

(١) بنسفة (هـ) شاويته .

قال للصادق جعفر بن محمد (صلح) : يا بن رسول
الله صلح ما معنى قول الله تعالى : « يمحى الله
الربا ويربى الصدقات » وقد نرى كثيرا ممن يعمل
بالربا يربو ماله ولا تمحق ، فقال صلح له : وأي
محى يكون أمحق من مال ربا ان تاب منه صاحبه
رده وأخرجه من يده فتمحق ، وان لم يتب منه
أدخله النار فامحقه .

فكذلك وعيد الله عز وجل للباغي بالنصر عليه
ان عجل الله ذلك له غلب لأن الله عز وجل يقول
« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » ، وقد وعد
بالنصر من بغى عليه ، وان آخر النصر والانتقام
الى الآخرة فعذاب الآخرة أشد كما ذكر . والمنصور
فيها من نصر ونصر الله عز وجل قد يكون عاجلا
أو آجلا لأنه لم يأت الوعد به مؤقتا ، وهو جل
ثناؤه لا يخاف فوت من أراده ، ولا يعجزه من
قصده . فالحذر الحذر من البغي وأعظم البغي
ذنبا ، وأشد عقوبة ما كان على الأئمة صلح فمن
بغى عليهم وشاقهم فقد شاق الله ورسوله لأن البغي
عصيان ، وقد قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة
رسوله ، ومن عصيهم فقد عصى الله ورسوله ، ثم
أشد البغي بعد ذلك على أوليائهم المؤمنين . وان

كان البغي كله منهيًا عليه لخوف وعيد الله فيه وقد قال رسول الله (صلح) : « لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكا » . فهذا من قول الله تعالى : « ومن بغى عليه لينصرنه الله » . وقد امر الله عز وجل بجهاد من بغى على الأئمة وعلى المؤمنين في كتابه اذا نصبوا لهم ، والبغي يكون بالمناسبة والمحاربة والسعي والأذى ، وانما يلزم اسم البغي من ظلم والسعي بالباطل والكذب ، وأما المحق وقائل الصدق ومن كان من أهل العدل فليس ينسبون الى البغي ولا يدخلون في جملة أهله (١) .

ومن عظيم البغي وكبيره ما بغى به البراءة عند الأئمة وقذفوا به مما لم يفعلوه ، ونسب اليهم من المكروه مما لم يأتوه ، ووصفوا بما ليس هم عليه ، ان في ذلك ذنب البغي وذنب الجرأة على الأئمة بقول الباطل عندهم ورفع الشبهات اليهم . وكذلك الحسد أعظمه وزرا وأغلظه ذنبا ما حسد به الأئمة صلوات الله عليهم . قال الله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما »

(١) بنسفة (هـ) أهله .

وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « نحن
الناس المحسودون الذين عنى الله بهذا ، حسدنا
على ما آتانا الله من الامامة وهي الملك العظيم
الذي ذكر الله عز وجل » . وقال عليه السلام :
الحسد رأس كل خطية ، وهو أول ذنب كان في
السماء وأول ذنب كان في الارض وأول ذنب كان
في الانس وأول ذنب كان في الجن وذلك أن ابليس
حسد آدم فكان ذلك سبب معصيته ، وحسد أحد
ابني آدم أخاه لما تقبل قربانه دونه فقتله ، وقال
في قول الله عز وجل حكاية عن أهل النار : « ربنا
أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت
أقدامنا ليكونا من الأسفلين (١) » قال أرادوا ابليس
وقابيل لأنهما أول من سن المعصية وركب الخطيئة
من الجن والانس فكان سبب ذلك الحسد . وكذلك
من أنكر نبوة الانبياء وامامة الأئمة ونصب لهم ،
وتغلب دونهم فانما سبب ذلك أنه حسدهم على ما
أعطاهم الله ، وأحب أن يكون ذلك له دونهم ،
وكذلك يجري هذا المجرى من نافس غيره في حظه
فسعى في ازالته عنه ، ومن سرق مال أحد وأفسد

(١) سورة فصلت ٢٩/٤١ .

أهله أو ما يجري هذا المجرى من الذنوب فانما أصل ذلك أنه حسده فيما آتاه الله وأراد أن يكون له دونه (١) ، وذلك قول الصادق جعفر بن محمد صلح « الحسد رأس كل خطية » وذلك مع ما في الحسد من الغم والكمد ، ولذلك قال بعضهم : ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد .

وكذلك من كبائر الحسد حسد من حسد أحدا فضلا من فضل الأئمة عليه ، لأنه يدخل في ذلك مع ذنب الحسد ذنب الانكار على الأئمة فعلهم ، لأن ذلك الحاسد يرى أن الذين أنعموا عليه ليس بأهل النعمة ، وأن فعلهم ذلك به غير صواب ، فهذا ذنب عظيم أيضا مع ذنب الحسد . وكذلك الشره وهو مكروه ومنهى عنه ، وهو في الحرام أغلظ اثما وأكثر وزرا وهو في أموال الأئمة صلوات الله عليهم أشد تغليظا واثما على ما قدمنا ذكره في خيانتهم والتعدي عليهم ، وإن اثم ذلك يفوق على الآثام وذنبه يجاوز الذنوب ، وكذلك سوء الظن مكروه ومنهى عليه ، وأعظمه سوء الظن بالله جل ذكره وقال تباركت أسماؤه « الظانين بالله ظن السوء

(١) بنسخة (م) بعده .

عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم
وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » ثم يتلو ذلك في
التفليظ سوء الظن بأنبياء الله وأوليائه الذين
قرن طاعتهم بطاعته ، ثم بالمؤمنين من أوليائهم .
قال الصادق جعفر بن محمد (صلح) : حرم الله
دم المؤمن وعرضه وماله وسوء الظن به . وكذلك
الحقد منهى (١) عنه ومذموم فعله بين المؤمنين ،
فان تعدى ذلك الى الأئمة كان حوبا عظيما ، واثما
كبيرا يخرج من حد الايمان ويوجب النفاق .

فالحذر الحذر عباد الله من هذه الخصال المذومة
والافعال الردية وارتكابكم اياها بقول أو عمل أو
نية ، أو تنظروا اليها والى أهلها بعيون الاعجاب ،
أو تصفوا اليهم بأذان الاقبال ، فان الله عز وجل
يقول : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
عنه مستولا » فأخلصوا لله ولرسوله ولأوليائه
أعمالكم ، واصفوا لهم ولجميع المؤمنين ضمائرهم ،
واجعلوا عليكم في ذلك رقبيا من أنفسكم في علانيتكم
وسرائركم ومشاهدكم وخلواتكم ، فقد قيل ان كمال

(١) بنسفة (هـ) منتهى .

الدين والآداب والمروءة (١) استحياء المؤمن من نفسه • وهذا اذا وجه على وجهه كان ذلك لأنه اذا استحيا من نفسه كما يستحي من الناس لم يأت محرما ولا عيبا ولا مكروها يستحي من الناس فيه أن يأتيه عن علمهم ومشهدهم ، ومن لم يستحي من نفسه واستحي من الناس فقد هانت نفسه عليه فهو على الله وعلى عباده أهون •

فحاسبوا أيها المؤمنون أنفسكم هذه المحاسبة وانتقدوا عليها هذا الانتقاد ، وانظروا في عيوبها بمثل هذا النظر فانه من لم ينظر في عيب نفسه نظر الناس في عيوبه • وفقنا الله واياكم لما يرضيه ويحظى به لديه •

(٤)

ذكر الامر لاتباع الأئمة بالتواضع لله تعالى ولهم
واطراح الكبر والأنفة واعطاء الحق الذي يلزمهم

التواضع لله ولأوليائه باب من أبواب العبادة ،
والكبر والأنفة في ذلك وغيره - الا عن المكروه -
من الدلائل على لؤم الطبايع وخساسة الانفس وقد
جاء عن رسول الله (صلعم) أنه قال : من تواضع
لله رفعه الله . وقال : ما من عبد - أو قال آدمي -
الا ورأسه بيد ملك ، فان تواضع لله رفعه وقال
ارتفع رفعك الله ، وان تكبر خفضه وقال انخفض
خفضك الله . والزهو والكبر والاعجاب بالأنفس
والاعمال من خطوات الشيطان ، وذلك مكروه قبيح
فعله واستعماله مع سائر الناس ، وهو مع الأئمة
أشد قبحا وأكثر نقيصة واثما ، وكيف يعجب معجب
بعمل يعمله لأولياء الله ، أو بعناء أو بجهد يكون

مهم في سبيل الله أو ما كان من مثل ذلك مما دخله من أجله الزهو والاعجاب بنفسه وبعمله ذلك الذي أعجب به وهو انما سعى في ذلك لنفسه وعمل لحظه وقدم لمعاده ، وان كان من فعل ذلك لوجه الله جل ذكره ، فله ولأوليائه في ذلك المنة عليه ، وقال تعالى : « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين (١) » وان كان ما عمل من ذلك عن رزق أعطيه أو جناية أجريت عليه ، فانما هو بمنزلة الأجير فيه ان وفى بأجرته فقد قضى ما عليه ، وان زاد فتواب ذلك له وان نقص فائمة عليه ، وان كان الذي فعله من ذلك تبرعا ليقرب جاله به ، ويذكر بما كان منه فيه فقد كان من ذلك ما كان ، وقد جاء عن رسول الله (صلم) أنه قال : يأمر الله عز وجل برجال يوم القيامة الى النار (٢) ، فيقول قوم منهم ربنا اننا كنا ممن يجاهد في سبيلك ، ويقول آخرون : ربنا انا كنا ممن يدمن حج بيتك ، ويقول آخرون ربنا انا كنا ممن ينفق ويصلي ويتصدق لوجهك ، فيقول الله

(١) المحررات ١٧/٤٩

(٢) بنفسه (م) جهنم

عز وجل : كذبتُم انما فعلتم ذلك ليقال ما أشجع فلانا ، وما أكثر حج فلان ، وما أسمح فلانا ، فقد قيل ذلك ، اذهبوا بهم الى النار ، ثم يقول عز وجل : اني حير شريك فمن أشرك معي في عمل يعمله غيري أسلمته لمن أشركه فيه معي .

ففي أي حال كان هذا المعجب من هذه الاحوال فقد هلك بأعجابه اذ لم يعرف قدر نفسه ، ولذلك قيل ما هلك امرؤ عرف قدره . فاما من أنف من اتباع الأئمة صلوات الله عليهم عن الانصاف في الخصام ، ومساواة من خاصمه عند القضاة والحكام ، وفي السلم من عدو أو ولي أو ذمي يرى أنه له فضل في ذلك عليه وأن قربه من أولياء الله يوجب له مالا يجب مثله عليه فتكبر لذلك وذهب بنفسه وعند عن الحق واستطال على خصمه فانه لم يعرف فضل نعمة الله في قرب أوليائه عليه ، ولا ما أوجب الله من الحق فيه اذ ظن أن ذلك يوجب الحيف له ، والميل اليه ولو عرف نفسه ، وعلم أن قربه من أولياء الله لو لم يكن له لكان عند خصمه أهون منه عنده فوجب أن يساويه ولا يستطيل بسلطان أولياء الله عليه ، وهم أهل العدل بين عباد الله والتسوية في حقه بين خلقه ، كما أمرهم بذلك جل ثناؤه ،

ولا ينسب الحيف عند الجهال بهم اليهم ، و يقيم لهم
الحجة بذلك عندهم عليهم ، ويؤمنهم أن ذلك من
أمرهم ورأيهم ، وقد برأ الله الأئمة من الجور (١)
ونزهم عن الظلم ففاعل هذا في الاثم كالناصب لهم
والباغي عليهم ، اذ كان قد تعدى أمرهم وعدل عن
حكمهم واستعمل سلطانهم في خلاف ما أمروه به ،
وسلك به غير السبيل الذي به سلكوه ، فعليكم عباد
الله بالتواضع لله ولأوليائه واطراح الكبر والأنفة
في حقوقه ، والمساواة في ذلك لمن نازعكم والمدل
فيما بينكم وبين من طلبتم بحق أو طالبكم فان ذلك
مما يرفع من أقدركم ، ويعظم ثوابكم به عند
ربكم ، ويحسن فيه ثناء الناس عليكم ، ويشكرون
له سير أئمتكم ويعلمون أن ذلك عن أمرهم اياكم ،
ومن عدلهم فيما بينهم وبينكم ومتى لم تفعلوا ذلك
كنتم على ضد هذه الاحوال ، وبؤتم بالاثم وتعديتم
في الافعال ، أعاذنا الله واياكم مما يوجب سخطه ،
ووفقنا الله مما لما يذكرو لديه وعنده .

(١) بنسفة (هـ) الظلم .

(٥)

ذكر الامر لاتباع الأئمة بالحلم والعفو والوقار والسكينة

الحلم والسكينة والوقار والعفو سيماء المؤمنين
الابرار ، وقد وصف الله عز وجل نبيه بالحلم في
كتابه فقال : ان ابراهيم لحليم أواه منيب • فأنى
عليه وقال لنبيه محمد (صلح) : « خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سميع عليم (١) »
وقال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (٢) » وقال : « لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة

(١) الاحرف ١٩٩/٧ - ٢٠٠ •

(٢) الفتح ٤/٤٨ •

وأصيلا (١) « وقال تعالى : « وليعفوا وليصفحوا
« ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢) »
وقال في المؤمنين : « رحماء بينهم » .

فينبغي لأتباع الأئمة أولياء الله أن يتأدبوا
بآداب الله وأن يكونوا كما وصفهم الله في كتابه
حلماء رحماء أهل سكينه ووقار في العلانية
والأسرار . فذلك شرف وزين لهم في العاجل ،
وذخر وثواب في الآجل ، وأوجب ما تزينوا بذلك
واستعملوه واعتقدوه وأخلصوا فيه لأئمتهم وولاية
أمرهم ، الذين تضاعف لهم الحسنات فيما أتوه من
الخير عندهم كما تضاعف العذاب لمن أتى بالمنكر
اليهم على ما قدمنا ذكره في غير باب من هذا
الكتاب . فأحق ما رغب فيه الراغبون وأوجب ما
سعى له الطالبون ما ضوعف أجره للعاملين وحسن
به الذكر وطاب به الخير في الغابرين ، وكانت به
النجاة والفوز في يوم الدين ، وأحق ما اجتنبه من
نظر لنفسه ، وعرف حق أئمة وسعى لأخرفته
أضداد هذه الخصال في النيات والمقال والاعمال من

(١) الفتح ٩/٤٨

(٢) النور ٢٢/٢٤

السفه الذي هو ضد الحلم ، والبطش بالمقوبة فيما
العفو فيه أجمل والحلم عنه أفضل ، والقسوة التي
هي ضد الرحمة فيما يبتغي الرحمة فيه ولمن لا تجب
القسوة عليه والبطش والنزق للذين هما ضد
الوقار والسكينة ، واجتناب هذه الاخلاق الدنية ،
والأفعال المذمومة في جميع الخلق فيه فضل وبر ،
وارتكابها فيه اثم وعار وشين ونقص ، وذلك فيما
يكون من أمور الأئمة وأوليائهم أعظم ثوبا وأغلظ
اثما .

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة فيما بينهم من
التعاطف والتواصل والتوَادد والتبازل

التواصل والمودة والتبازل بين الاخوان في ذات
الله عمل عظيم ، ثوابه جزيل أجره في الآجله ،
ويكسب أهله حسن الذكر والثناء وطيب الخير في
العاجلة (١) ، وقد جاء عن رسول الله (صلح) أنه
قال : ينادي منادي يوم القيامة أين أهل الصبر ؟
فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم الى الجنة ،
فتتلقاهم الملائكة فيقولون : ما صبركم هذا الذي
أوجب لكم الجنة ؟ فيقولون : كنا نصبر أنفسنا
على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله • فيقولون
لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي

(١) بنسخة (هـ) العاجل •

منادي أين أهل المعروف ؟ فيقوم طائفة من الناس
فيأمر بهم الى الجنة فتستقبلهم الملائكة فيقولون :
ما هذا المعروف الذي أوجب لكم الجنة فيقولون كنا
نعفو عن ظلمنا ونصل من قطعنا ونعطي من
حرمنا • فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر
العاملين ، ثم ينادي منادي : أين جيران الله في دار
السلام (١) ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم الى
الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : ما فضلكم هذا
الذي جاورتم الله به في دار السلام ؟ فيقولون :
كنا نتحاب في الله ونتواصل في الله ونتبازل في الله •
فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين •

فهذا الثواب الذي لا ثواب كمثله ، وكذلك
قليل من يفعل مثل هذا يحب أخاه لا يحبه الا لله ،
ويواصله لا يواصله الا لله ، ويبذل ماله لا يبذله
الا لله ، وهؤلاء من الذين قال الله عز وجل : « الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » وما
أكثر ما يتحاب الناس ويتواصلون ويتبازلون الا
تصنعا ومكافاة بينهم ورياء وسمعة ، وأفضل ذلك
ما يشوبه شيء من طلب ثواب الله ، فأما أن يكون

(١) بنسفة (م) المعجلات •

ذلك محضا يراد به وجه الله لا غيره فأهل ذلك قليل
كما قال جل ثناؤه ، وينبغي لمن نافس في الفضائل
أن يخلص هذا اذا كان همه وعمله كله لله وينويه
لوجهه ويخلصه لطلب ثوابه ، ويجعل أفضل ذلك في
اعتقاده ونيته وطويته فيما يكون للأئمة صلوات
الله عليهم ، اذ كانت الحسنات تضاعف في ذلك ،
واذا أوجب الله تعالى جواره في دار السلام (١) لمن
أحب مؤمنا ووصله ، ففاعل ذلك للامام أخرى أن
يكون ثوابه أكبر وأجره على الله أعظم أضعافا
مضاعفة اذا نوى ذلك - كما ذكرنا - واعتقده
لوجهه وأخلص نيته فيه ، وما أيسر أمر الاعتقاد
لمن وفقه الله للرشاد مثل أن يجعل من مشى الى قصر
الامام مرتبا كان في ذلك أو متاعدا ان ذلك السعي
وصلة لامامه وزيارة يريد بها وجه الله وثوابه
لا ينوي بذلك غيره ، وان كانت له مع ذلك حاجة
هناك لم يضره ذلك مع جميل اعتقاده ، كما لم
يجعل الله جناحا على من ابتغى الفضل من حبيب
بيته القاصدين اليه لابتغاء ثوابه وكذلك يجعل ما
يصلهم به ويدفعه من الواجب عليه في أمواله ، وما

(١) في صفحة (هـ) الاخرة .

تطوع به لله ولوجهه لا يريد رياء ولا سمعة ولا
يجعله لأمر يرى أنه ان لم يفعله نقص عندهم ،
وأخل ذلك به لديهم ، وان أحبهم لأمر ما كان ذلك
الحب له جعله لله جل ذكره وابتناء ما عنده ،
وكذلك يجعل جميع أفعاله لهم من جهاد أو خدمة
أو نصيحة أو قول أو فعل ينوي به وجه الله لا
يشوبه بغيره ، ولقد أفادني بعض من لا اعتقد
مذهبه ولا أرضى قوله وحكمه ، وأنا حديث السن
يومئذ وهو شيخ ونظر الي أجمع الكتب وأكتبها
وأشتغل بها فقال لي : يا بني اني أفيدك فائدة •
قلت هات • قال : ان الاشتغال بهذه الكتب يحول
دون كثير من أعمال البر وهي شهوة لا يقدر من
علق بها على تركها لغيرها ، فاجعل نيتك ان عملك
فيها واشتغالك بها لله وطلب ثوابه يكون ذلك لك
عمل بر • ففتح لي من هذا وجهها ان لم يكن على
الجملة كما قال فانه يوجب أن يكون كما قال فيما
وافق الحق لأنه ليس من كتب ونظر واشتغل بعلم
باطل ينوي به ما عند الله ، وأن الله يقبل ذلك
ويثيبه عليه بل يعذبه على الباطل ويؤثمه في
اشتغاله به ، ولكن من فعل برا وخيرا فنوى به
ثواب الله وقصد به وجه الله أثابه الله عليه ،

وان عمل ذلك رياء وسمعة لم يقبل منه ، وكان لما عمله له كما قال رسول الله (صلح) : انما الاعمال بالنيات انما لكل امرئ ما نوى . فمن هاجر الى الله والى رسوله فهجرته الى الله ورسوله فمن هاجر (١) لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه « فانما أراد (صلح) بالأعمال ههنا أعمال البر اذا كانت صحبتها النية الصالحة فأما من عمل سوء وأراد به الخير لم يقبل منه بل يعاقب عليه .

وقد قال رسول الله (صلح) : « نية المؤمن خير من عمله » . وتفسير ذلك والله ورسوله أعلم أن العمل بلا نية غير مقبول ، ولو أن رجلا أمسك عن الطعام يوما كله ولم ينو بذلك الامساك الصوم لم يكن صائما ، ولو خرج الى مكة وقت الحج وشهد المناسك كلها ولم ينو الحج لم يكن حاجا ، ولو قام وركع وسجد ولم ينو الصلاة لم يكن مصليا ، وكذلك كل عمل ، فالعمل بغير نية لا ينفع ولا يقبل وانما يكون عملا اذا كانت معه النية ، والنية وحدها تنفع بلا عمل .

(١) بنسخة (هـ) هجر .

قال رسول الله (صلح) : « من نوى أن يعمل حسنة كتبت له فان عملها كتبت له عشر حسنات »
 فلذلك والله أعلم كانت نية المؤمن أفضل من عمله لأنها تنفع دون العمل ، والعمل لا ينفع بغير نية ،
 ولذلك قال قائل لبعض الأئمة فيما أحسب : أمن العدل أن يعصي الله عاصي أو يذنب اليه مذنب
 مدة قليلة في دنياه فيعاقبه في الآخرة عقوبة الابد ،
 قال : نعم لأنه كان ينوي أنه لو عمر الابد لكان على تلك المعصية اذا مات مصرا عليها غير تائب عنها .

وهذا باب من العقوبة بالنية السوء . كما أن الثواب بالنية الصالحة . وقد قال الله تعالى :
 « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (١) » فالظن توهم بالقلب ونية واعتقاد
 لذلك الظن وقال عز وجل : « وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (٢) »
 فأعاب ذلك الظن عليهم . فينبغي على هذا أن لا

(١) الفتح ٦/٤٨

(٢) الاحزاب ١٠/٣٣-١١

يعتقد المرء ولا يظن ولا ينوي الا خيرا فيما يكون
من امر الله ولامر اوليائه وامور المؤمنين من عباده ،
وان ينوي كل عمل يعمل من اعمال الخير لله
ولوجهه ، فعليكم ايها المؤمنون بهذا الادب الصالح
فاستعملوه ، واخلصوا المودة لأئمتكم واخوانكم
من اوليائه وتحابوا وتواصلوا على ولايتهم ومودتهم
واحذروا التدابر والتقاطع والتباغض لأوليائكم
واخوانكم والبخل فيما أوجب الله عليكم في أموالكم ،
وفقنا الله واياكم للخير وأعاننا ولكم (١) عليه
وفتح لنا في عمله وهدانا اليه ولكم « .

(٧)

ذكر ما ينبغي لمن يراه الأئمة صلوات الله عليهم
من اتباعهم من التجل و اظهار النعمة بين أيديهم

قد أوجب الله في كتابه وعلى لسان رسوله
(صلح) اظهار نعمته سيما في المواضع التي يتقرب
بشهودها اليه فقال جل ثناؤه : « يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد (١) » • وقال رسول الله
صلوات الله عليه : من أنعم الله عليه بنعمة فليبر
أثرها عليه • وجاء في اللباس والتنظف والتعطر
للمشاهد التي تشهد لا بتغاء ثواب الله فيها أخبار
يطول ذكرها ، ومشاهد الأئمة صلوات الله عليهم
ومجالسهم فينبغي لمن أراد شهودها أن ينظف شعره
وأطرافه ويلبس أفضل ما عنده من لباسه ، ويتطيب

(١) الاعراف ٣١/٧ •

بأحسن طيب يجده ، ويظهر نعمة الله عليه ونعمة
 أوليائه لديه وعنده سيما ان كانت منهم وعلى
 أيديهم فحقهم التجل بها في مجالسهم ومقاماتهم
 ومحافلهم ومسائراتهم ، وذلك من تعظيمهم واجلال
 أمورهم كما أوجب الله على من قام الى الصلاة أن
 يتوضأ لها ويأخذ زينته لها ، لأنه يأنى بيته ويقوم
 بين يديه تعالى ، وكذلك ينبغي لمن أتى أولياء الله
 متقربا بهم إليه لأنه في اطراح ذلك والتهاون به
 وحضوره بلا استعداد لهم ولا تأهب للقائهم تهاون
 بأمورهم ، ومن تهاون بشيء من أمور أوليائه فقد
 تعرض لمقت الله وعقوبته ، ولما في التنظف من
 السنة ولأن النظافة من الفطرة قال رسول الله
 صلى الله عليه وعلى آله : ان الله يحب النظافة
 ويبغض العبد القاذورة فينبغي استعمال ما أحبه
 الله تعالى وترك ما كرهه (١) على كل الاحوال ،
 وأكد ذلك وأوجبه وأحسنه وأفضله وأجمله ما
 استعمل لاجلال أولياء الله الذين يتقرب بهم إليه
 ويرجا شفاعتهم لديه .

(١) بنفسه (هـ) ما بغضه .

(٨)

ذكر الآداب في السلام على الأئمة صلوات الله عليهم والكلام بين أيديهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل ، انه ان ما يراد من تعظيمهم طاعته ويبتغي فيه مرضاته لا شريك له ، وقد رأينا أوصياءهم وولاة عهودهم يتبلون الارض في سلامهم عليهم بين أيديهم اجلالا لهم وعلما بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم ، فاتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم ويتقرب الى الله بتعظيم أوليائه غير مستنكفين ولا مستكبرين عنه ، والرعا ع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه أوليائه عن افترائهم عليهم ، وللسجود حقيقة هي غير تقبيل الارض عند كل من نظرهم شيء من العلم من مؤلف أو مخالف ، لا يرون من قبل الارض في

صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على
جبهته وأنفه وينويه نية سجوده على أنه لو سجد
ساجد لولي من أولياء الله اعظاما لله لم يكن ذلك
بمنكر ، فقد ذكر الله عن أبي يوسف وأخوته
أنهم خروا له سجدا فلم يعب ذلك من فعلهم ،
وأعاب الذين يسجدون للشمس من دون الله وقال :
لا تسجدوا (١) الا لله .

فانما نهى عز وجل عن السجود لأحد من دونه
يتخذها الها معبودا ، فأما السجود تعظيما له فهم ينه
عنه ، فالذي نهى عنه رسول الله (صلح) من
السجود اليه من اقتدى في ذلك بما رآه من الحبشة
الذين يسجدون للموكلهم فأولئك انما سجدوا لهم من
دون الله لأنهم مجوس لا يعرفون الله تعالى ، فنهى
النبي (صلح) عن الاقتداء بهم . على انا لم نقل
انا نسجد للأئمة ولا أنهم أمروا بصلوات الله عليهم
بالسجود لهم ، وانما هو تقبيل الارض التي يطأونها
اعظاما لهم عن تقبيل أيديهم ، وفي هذا احتجاج
يطول ذكره ، وفيما ذكرناه منه كفاية ، فينبغي لمن
واجه الامام ع .م أن يبدأ بالسلام عليه ، ثم يقبل
الارض بين يديه ، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا

(١) بنسخة (م) يركعون .

الى الله ع . ج به ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه
لتقبيل الارض : « السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته » ويكون ذلك بحيث يراه
الامام وان كان المسلم بحيث يسمع رد الامام عليه
السلام لم ينخط (١) الى الارض لتقبيلها الا بعد
فراغ رد الامام عليه السلام ، ثم اذا قبل الارض
قام فان حضر لأمر يريد الكلام فيه مما يجب وينبغي
لمثله أن يتكلم به ، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين
يدي الأئمة تكلم والا استأذن في الكلام ، فان أذن
له الامام تكلم وان لم يأذن له انصرف ، فقد قال
بعض الملوك لبعض من وفد عليه من الاشراف وقد
قام بين يديه يريد الكلام : ان كنت ممن يتكلم
بين يدي الملوك فتكلم .

هذا واجب للملوك الدنيا وواجب الأئمة فوق
ذلك كما بينا في أول الكتاب ، وأحسن ما يفتح به
الكلام من أراد الكلام بين يدي الأئمة اذا كان
وافدا عليهم ، أو مريدا للكلام يطول ، أن يفتح
بحمد الله والصلاة على رسوله وعلى الأئمة ، فقد
جاء في الاستفتاح بذلك أثر ، وان لم يمكن ذلك

(١) بنسخة (هـ) يهبط .

أو لم يحسنه المتكلم فليدع بما تهيأ من الدعاء الى الامام ، ففي الدعاء ذكر الله ع . ج وهو يجزي في الاستفتاح من الحمد ، ثم يتكلم بما أراد من الكلام ، ويستعمل من لفظه ما تعطيه قريحته وتنطاع له طباعه وينطلق له به لسانه ، غير متكلف كلاما روي فيه قبل ذلك وأحكمه وألفه وألف له وحفظه ، فانه لا يأمن أن يحتاج الى كلام لم يتقدم فيه ، ويختصر الكلام ما استطاع وأمكنه الاختصار في بيان ويجتنب التطويل والاطناب والتشديق (١) والاسهاب فان ذلك انما كان يحتمل من المطبوعين عليه في قديم الزمان على استثقال لهم ، وقد جاء في الحديث أن رسول الله (صلح) قال لبعض من أغرب عنده في كلامه وتشديق فيه بين يديه : عليك بما يفهمه الخاص والعام من الكلام ، فاني لو شئت قلت ما لا تعلمون ، بيد أنني من قریش ، وربيت في هوازن وربتني سبع عواتك ولكن لعن الله الثرثارين المتفيهقين » . فخاض أهل اللغة في تخريج غريب هذا الكلام الذي تكلم به رسول الله (صلح) فلم يتفقوا عليه ، وكان صلى الله عليه من أفصح العرب ومن عنصر

(١) بنسخة (هـ) والاشفاق .

منابت اللسن ، ومن معدن الفصاحة ، وقد أعاب
 من جاء منها بما يغمض ويفرب ولا يكاد أن يفهمه
 الا الخاص ، فأما من تعاطى في كلامه غير ما جرت
 به عادته وأتى منه ما يدق وألفه أو تدبر وألف
 له ثم حفظه خليق أن يفتضح كما افتضح رجل مرة
 عند بعض من أدركناه من الامراء وقد كان قدم
 اليه بكتاب ومكرمة ممن استعمله بعد انقطاع ذلك
 عنه عدة طويلة ، لكون بعض من كان قام على
 وجيزا بليغا قد كان ألف وعمل له فحفظه ، فلما
 ذلك الذي استعمله ، فحال فيما بين هذا العامل
 وبينه ثم تلتطف هذا الرسول وتلطف له في الوصول
 اليه ، فلما بلغه قدومه وأنه قرب منه تأهب له
 وأحضر مجلسه وجوه رجاله وأظهر زيه وعدته ،
 وأذن للرسول فدخل اليه وسلم ، ثم افتتح كلاما
 فرغ منه تهيبه ذلك الامير ومن حضر مجلسه ،
 فحمد الله وأثنى عليه ثم قال كيف خلفت أمير
 المؤمنين أطال الله بقاءه ، والخاص والعام فيما
 قبله ؟ فلم يدر ما يقول غير ما جرت به عادته
 الخسيسة فقال له : بخير جعلك الله بخير . فما
 تمالك ذلك الامير ومن حوله عن الضحك ثم خاطبه
 فجاء بمثل هذا من الكلام ، واقتحمته العيون

وازدراه من سمعه ممن حضر •

فينبغي لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم أو
تكلم بين أيديهم ألا يتكلف كلاما لم تجربه عاداته ،
وكذلك لا ينبغي للعاقل (١) أن يستعمل مثل ذلك
في شيء من كلامه ومخاطباته ، فإن أقل ما يخاف من
ذلك ما ذكرناه من هذا الجاهل المتعاطي ، مع ما
ينبغي لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم من
تعظيمهم واجلالهم ومقاماتهم عن الانبساط فيها
والتمعق فيها والتنطع والتشدد في الكلام بها
واستشعار الهيبة لهم ، والحرص في الكلام عندهم
أزين من ذلك وأشبه بمن تكلم لديهم ، ولا بأس
بذلك من كان في شعر أو خبر يحكى فيه كلام
متقدم بلفظه إذا كان الامام قد أذن للمنشد
والمتكلم في ذلك ، فانه لا ينبغي أن يعيله ولا يلحنه •
وكذلك ان قرأ كتابا بين يديه أو كتب به اليه فان
الاغراب في ذلك • والبلاغة ما لم تخرج من المعروف
الى وحشي الكلام وغريب الالفاظ أحسن ، فان
كان في الكتاب من الغريب ما يستعمل كثيرا ويعرف
فلا بأس به ، وقصد المعروف من كلام العرب غير

(١) بنسخة (هـ) للعاقل •

المجهول في لفتها المدخول من كلام العامة والمعجم
أجود ، وما كان متوسطا من ذلك فهو أحسن ، فقد
سأل بعض الأئمة عليهم السلام رجلا كان قلده أمر
البحر يوما وقد دخل اليه ، عن الريح ما هي ؟ فكان
يذهب الى البلاغة ويستعمل الفصاحة فقال : نكباء
بين الشمال والديور ، ثم دخل أخ له كان ينظر
أيضا في البحر ولم يكن يتكلف ما كان يتكلف أخوه
ولا يشتغل بما كان يشتغل به من علم العربية ،
فقال له الامام عليه السلام : ما الريح الآن ؟ قال :
جرج • فتبسم الامام وقال : ما أبعد بينك وبين
أخيك ولو توسطتما بين هذين الكلامين بكلام بين
لكان حسنا •

فأما من تعاطى ذكر الغريب في الكتب وكثرة
استعماله فيها فغير حسن ، وقد كان بعض الامراء
استعمل ذا قرابة له على بعض أعماله ، وكان في
الرجل الذي استعمله حمق وجهل ورقاعة (١) ،
فاستكتب كاتباً يشبهه في الرقاعة وحضر وقت يهدي
فيه عمال ذلك الامير اليه وأهدى هدية وقال لكتابه:
اكتب كتابا بليغا بذكر الهدية ونعتها • فجعل

(١) بنسفة (م) ورقة •

الكاتب يكتب في ذكر ذلك بغريب الكلام ويسميه له
ويشرحه ، فكان فيما كتب به وبعثت الى الأمير
بجرة - والجرة القلة - وفيها كماء - والكماء
الترقاس . فلما قرأ ذلك الأمير كتابه استضحك
منه وعزله ، وبعث عاملا مكانه وكتب اليه في كتاب
تسليمه « وصلت الينا هديتك وكتابك وفيه من
الغريب ما يحتاج الى شرحه عنك شفاها ، وقد
بعثنا بفلان مكانك عاملا الى أن تشرح لنا هذا
الكتاب ونفيد عنك ما فيه ان شاء الله تعالى »
وهذا وان كان من التجاوز في الرقاعة فان في ذكره
ما يزرع من القليل منها .

وكذلك أنشد بعض الشعراء بعض الملوك شعرا
مدحه به وأعجبه فاستعاده انشاده وكان غريبه
كثيرا ، فظن ذلك الشاعر أن ذلك الملك لم يعرف
ذلك الغريب فقال له : نشرح لك غريبه أيدك الله
عز وجل ؟ فغضب عليه وحرمه وأخرجه من بين
يديه . فمثل هذه الأشياء ينبغي انتقادها (١) ،
وأخذ من يخاطب الأئمة صلوات الله عليهم ويتكلم
عندهم ويكاتبهم نفسه فيها بالآداب الصالحة لهم

(١) بلسغة (هـ) ايجازها .

والتقرب بتمظيمهم وتبجيلهم الى الله عز وجل
 واليهم بظهور التخلف واعتراض الحصر ، وتعرف
 الدهشة فيمن خاطبهم وقام بين أيديهم ، وتولى
 شيئا من أمورهم بحضرتهم أحمد من الاقدام
 والجزالة والبراعة في ذلك عندهم ، ولقد كان بعض
 الاطباء يقصد بعض الأئمة عليهم السلام فكان
 يعتريه عند ذلك بعض الروعة اعظاما له ، وكان
 ذلك أخاف الامام ع^م من خطأ يده فأحضر آخر
 يوما وقد احتاج الى الفصد ، وقد بلغه ما اعتري
 الآخر ، وأن ذلك كره منه ، فأخفى الموضع في يده ،
 وأخذ يد الامام ليختبر العرق قبل أن يربطه ولا
 وضعت الطشت (١) بين يديه ، فقصده ، ولم يعلم
 ووضع اصبعه على العرق ، فدعا بالطشت ، وظن
 أنه أبدر في ذلك وجاء بما يستحب منه فأعظم
 الامام جراته عليه واقدامه ، فكان ذلك سبب
 سقوطه (٢) عنده ، ورد الاول وأثنى خيرا عليه
 وبسطه الى أن زال عنه ما كان يعتريه لجلالته
 عنده .

(١) بنسفة (هـ) الصحن .

(٢) بنسفة (م) سقطته .

فعلى مثل هذا من التعميم والاجلال يجب
معاملة أولياء الله والتصرف في أمورهم ومخاطبتهم،
واستقصاء ما يجب في ذلك يخرج عن حد هذا
الكتاب . وفيما ذكرناه من ذلك ما يستدل به على
غيره ، وينتفع به من وفق لفهمه ان شاء الله
تعالى .

(١١)

ذكر القيام بين يدي الأئمة صلوات الله عليهم والجلوس في مجالسهم والحديث لديهم

القيام بين يدي الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم
واعتقد امامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيما لهم
واجلالا لمكانهم عبادة يتقرب بها الى الله الذي أوجب
تعظيمهم واجلالهم ، كما كان القيام في الصلاة لله
تعالى تعظيما له . قال جل ثناؤه : « وقوموا لله
قانتين » فينبغي لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله
تعالى قربة يتقرب بها اليه وينوي ذلك ويعتقده
بقلبه ويجل مقامهم في صدره ، ويرى أن ذلك
القيام فيه حظ عظيم لنفسه اذ كان مما يتقرب به
الى ربه ، ويرجو لديه ثوابه ، ولا يرى أن الجلوس
لديهم أفضل من القيام بين أيديهم ، ولا أن ذلك
ادنى اليهم ، ولا أن أحدا يستحقه عندهم ، فاذا
عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمره

بالجلوس اكراما له أو لأمر ما رأوه فليجلس معترفا في ذلك بفضل نعمتهم عليه ، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فانه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة ، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسما جاريا لا يزول عنه ، ورتبة واجبة له ، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا انأالوه معروفا صار له عليهم ضربة لازب ، وانما هم في الانعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (١) » فاذا أحبوا أنعموا وتطولوا ، واذا أمسكوا لم ينبغ أن يستعجزوا ولا ييخلوا . وكذلك ينبغي أن تراض (٢) النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء ، وعند أحوال الشدة وفي حالات الرخاء ، فان صنعوا صنيع معروف الى واحد وجب شكرهم عليه ، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق اياه ، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك اليه ، فان عادوا به عليه ضاعف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق ، واذا

(١) سورة ص ٢٨/٢٨ .

(٢) بلسفة (هـ) تراضى .

لم تكن لهم عودة الى ذلك أداب نفسه في شكر ما
تقدم لهم عنده واعترف فيه بمعجزه ، ورأى أنه لو
زيد من ذلك لكان أثقل لحمله وأحرى أن لا يقوم
بأعباء ما يجب فيه عليه .

فاذا قام القائم بين يدي الامام فليقم قائما
معتدلا كقيامه في الصلاة وليرم ببصره الى الارض
اجلالا وهيبة له ، ناظرا الى الامام من تحت طرفه ،
ويخفض جناحه ، نظر من يرى أن نظره اليه
عبادة ، فقد جاء ذلك في الحديث المأثور ، ولا يلتفت
ببصره ولا يقلق في وقوفه ولا يعبث بيديه ، ولكن
يوسلها ارسالا ، أو يضع يمينه على شماله تحت
صدره ، ويلزم الصمت والوقار الى أن يسأله
الامام ، أو يضطر الى الكلام ، أو يكون ممن يريد
الامام كلامه ، أو في حال من يرفع الامور اليه ممن
جعل ذلك له فيتكلم فيه ، أو فيما ينبغي له الكلام
فيه ما استمع الامام منه ، فان أعرض عنه أو قطع
كلامه لأمر عرض له أو لغير أمر ، فلينصت المتكلم
حتى يأذن له الامام في الكلام بلفظ أو بإيماء أو
باستفهام ، فحينئذ يعود الى ما كان فيه ، والا سكت
على ما قطع الكلام عليه ، ولا يرجع من غير اذن
له فيه ، وليكن كلامه اذا خاطب الامام كلاما متخافتا

بلفظه بقدر ما يسمعه الامام ، ولا يرفع صوته عنده ، فقد نهى الله عز وجل عن رفع الاصوات فوق صوت نبيه والجهر بها لديه الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته ، وجعل تعظيمهم من التعظيم له ، فان خاطبه الامام أصفى الى لفظه ، وكذلك ان كان حديث الامام لجماعة من بحضرته (١) ، فينبغي لكل واحد منهم الانصات والاصغاء اليه ، وكذلك ان خاطب أحدهم خطابا علانية غير سر فينبغي لمن سمع خطابه الاصغاء اليه ، وطلب الفائدة منه ، فان في كل لفظة يلفظ بها الامام حكمة لمن تدبرها ووفق لفهمها ومعرفتها ، ولا يرى من سمع كلام الامام أن لفظة من ألفاظه تخرج مخرج هزل أو تقع موقع عبث أو تجري لغير فائدة وان ظهر ذلك للسامع منه ، فينبغي له أن لا ينزله بهذه المنازل ، وأن يعلم أن الله سبحانه قد برأهم صلوات الله عليهم من ذلك ، وأن فهمه هو الذي قصر عن ادراك معرفة الفائدة من لفظه .

فاما رموزهم عليهم السلام وأمثالهم واشارتهم بمعارض الكلام فبحور لا يخاض تيارها ، ولا يدرك قعرها ، ولا يفهمها عنهم الا من شرح الله عز

(١) بلسغة (م) بحضوره .

وجل صدره لمعرفة وفهمها ، وهي أكثر من أن
 يحاط بها ، ولو أخذت في ذكر بعض ما تادی الي
 منها لانقطع القول عما أردته ، وخرج الكتاب عن
 حد ما عليه بنيته ، فان جرى الحديث عند الامام
 بذكر من تقدمه من أوليائه أو أحد من ملوك
 الارض غيره فينبغي لمن حضر ذلك أن لا يذكر من
 حزمهم وحسن سيرهم وأخلاقهم وجزالتهم شيئا يرى
 هو أو غيره أن ذلك الامام قصر فيه أو أخله ، فان
 لكل زمان تدبيرا ، ولكل قوم سياسة ، والأئمة
 صلوات الله عليهم أعلم بمصالح الخلق ، وأبصر
 بواجب الحق ، ولكن يذكر ما كان يذكر من شرف
 آبائه وفضلهم ومناقبهم مما ينبغي أن يكون مدحا
 له ، ولا بأس بذكره ، وان سأل عن ذلك واستخبر
 من حضره عنه أدى المخبر اليه بحسبه غير مطر
 لذلك ولا معظم له ولا منتقص ، ولكن يذكر ذلك
 على جواب ما سئل عنه ، فان كان الامر في الوقت
 على خلافه قال : الامام أعلم بمصالح العباد ،
 وتدبير الأمور في كل عصر وزمان . أو نحو هذا
 من الكلام مما لا ترى فيه أنه توهم على امامه
 تقصيرا عن ذلك أو تخلفا فيه ، ولا يقطع القول في
 ذلك بأنه ينبغي أن يكون ذلك في وقته أو لا ينبغي ،

ولا أن كان من ذلك كان يجب أو لا يجب ، ولكن حسبه اذا سأل الامام عن ذلك الجواب أجاب عنه على ما ذكرناه ، وإن سأل غيره عن ذلك بحضرة الامام أمسك عن الجواب فيه وسكت عنه ، الا أن يأذن له الامام فيه ، أو يسأله عنه ، فان جرى في المجلس من الكلام (١) ما تبسم أو يفتخر ضاحكا عنده الامام فانه لا ينبغي لأحد من جلسائه والقائمين بين يديه أن يضحكوا لذلك ، ولكن ينبغي لهم أن يطرقوا بأبصارهم مبتسمين (٢) ، ويظهروا الوقار والسكينة ، ويعظموا مجلس الامام من الضحك فيه ، فليس ذلك فيه الا له عليه السلام .

وان خاطب أحدا منهم أو من غيرهم سرا ، فينبغي لمن قرب منه أن يباعد عنه ، ولجميعهم ألا يصفوا اليه ولا يلتفتوا نحوه ، حتى يقضي نجواه ، ولا ينبغي لهم أن يتناجوا في مجلسه ، ولا أن يتحدثوا بينهم حديثا دونه ، وينبغي أن يكون جميع ما يجري في مجلسه منه ومن جلسائه سرا لديهم وأمانة عندهم ، فقد جاء في الحديث : أن المجالس أمانات وان لم تؤتمن من فيها .

(١) بلسفة (م) الحديث .

(٢) بنسفة (هـ) ناظريه .

ولكن ينبغي أن يذكر ذلك وينشر ما كان فيه من حسن أحوال الإمام يوصف بها ، أو مكرمة يجب نشرها ، ويذكر فخرها ، وإن كان ذلك من المباح دون المحظور ، ومن الظاهر دون المستور ، وينبغي لمن شهد مجلس الإمام أن لا ينازع ولا يمارى فيه ، ولا ينتصف ممن جنى بالقول عليه ، بل ينبغي له أن يتفمد الاساءة ، ويعرض عن قائل إن قال له سوءا وعرض بذلك له ، وإن تهيأ الجواب له وحضرته الحجة عليه ، إلا أن يأذن الإمام له في الجواب ويطلق له المناظرة والخطاب ، وإن كان ذلك اقتصر على الحجة ولفظ بالصواب غير طائش في المقال ولا متشبط في الجواب والسؤال ولا قائل هجرا ولا معرض له ولا منتصف من قائل إن قال ذلك له ، ويتقي التمطى والتشاؤب وتنقيض الأصابع وحركة الأطراف والجوارح ، وإن عرض له سعال أو عطاس أخفى من ذلك ما استطاع كما يخفيه في الصلاة ، فإن جاءت نخامة (١) أخفاها كذلك جهده وسترها ، وتناول ذلك في ثوبه من غير أن يظهر ذلك ولا يستدعيه ولا يفعله إلا بعد أن يغلب عليه ولا يقدر على حبسه .

(١) بنسفة (هـ) نغمة .

وليكن جلوس من أمره الامام بالجلوس في مجلسه مستوفزا فيه غير متمكن في الجلوس ولا متربع ، ولا بأس أن يقيم رجلا ويضع أخرى ، ويحتبي بيديه يمسكهما على ركبتيه أو على أحدهما ، ولا يقلق في جلوسه ولا يكثر الحركة فيه . وانما نهينا عن هذا وأشباهه مما ذكرناه لما في الانتهاز عنه من تعظيم مجلس الامام وتوقيره ، لا على أنه حرام فعله ولكنه مكروه وينبغي في الآداب ترك استعماله . ولا يرى من لم يؤذن له في الجلوس أنه قصر به ، ولا يحسد من أذن له فيه ، بل يفتبط بثواب قيامه بين يدي امامه ، ويعلم أن ذلك أعظم لثوابه عند ربه . وينبغي لمن تكلم عند الامام بكلام أن لا يطري فيه نفسه ، ولا يظهر الاعجاب بما فيه ولا ما كان منه ، وان استحسّن الامام شيئا منه وأطراه فيه أو أثنى بخير عليه فينبغي أن يتعاضد ذلك ويكبره ويكثر الشكر عليه بما قدر على ذلك وأمكنه ويتواضع لذلك ويقلل نفسه ويضع ما رفعه الامام منه تواضعا لله وله ويشعر ذلك نفسه ، ولا يزهيه ولا يبطره أطراء الامام له ، ويرى ويعتقد أن ذلك القول فيه من فضله ونعمه عليه ، ولا على أنه استحق ذلك منه ، فقد ذكرنا في غير موضع من هذا

الكتاب أنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا
 إيجاب ، ويتقي الغيبة عنده وسوء القول في غيره
 وذكر معاييب الناس له ليقصصهم بها عنده ، فإن
 للناس معاييب وأولياء الله أحق من سترها ، وزلات
 وذنوبها هم أولى من اغتفرها وتغمدوها ، ولولا ستر
 أولياء الله لبدت عورات عبادهم ، وقد جاء عن
 رسول الله (صلح) أنه قال : « لو تكاشفتكم ما
 تدافنتم » يعني (صلح) أنه لو كشف لبعضكم عن
 عيوب بعض ما استحسن من كشف له عن عيب
 صاحبه أن يحضر جنازته ، ولقوله (صلح) وعلى
 آله : أن لله على كل عبد مؤمن سبعين سترا فإذا
 أذن ذنبا انتهك عنه ستر منها فإذا تاب منه
 واستغفر منه أعاد الله عز وجل عليه ذلك الستر
 ومعه سبعون سترا ، وإن أبى إلا قدما في المعاصي
 تهتكت أستاره ، وأمر الله عز وجل الملائكة فتستره
 بأجنحتها فإن استغفر الله وتاب من ذنوبه أعاد
 الله عليه أستاره ومع كل ستر منها سبعين سترا ،
 وإن أبى إلا قدما في المعاصي (١) شكت الملائكة إلى
 الله عز وجل ما تلقى منه ، فيأمر الله عز وجل
 الملائكة برفع أجنحتها عنه ، فلو عمل ذنبا في قعر

(١) بلسغة (م) المعصية .

البحر أو تخوم الارض لأبداه الله عليه ، فلما
كان الله تعالى لا يجعل على المذنبين من عباده فيكشف
عيوبهم الى خلقه ويحب سترها عليهم كان كذلك
أولياء الله يحبون ما أحبه ولذلك قال علي صلوات
الله عليه : لو رأيت مؤمنا على فاحشة لسترته
بثوبي . وقال علي بن الحسين عليه السلام : لم
يعش مع الناس من عرفهم . وقال جعفر بن محمد
صلى الله عليه وسلم : أجراً الناس على ذكر
معائب الناس هم أهل العيوب .

وكذلك لا ينبغي له أن يبدأ بمدح أحد لم يكن
من الامام قول جميل فيه فانه لا يدري لعل المدوح
عنده على خلاف ذلك عند الامام ، ولكن ان ذكره
الامام بخير وكان عنده علم منه بذلك وحسن ذكر
ذكره بالخير الذي يعلمه منه ، وان ذكر الامام أحدا
من غير أعدائه بسوء أمسك من سمع ذلك من
القول فيه ، وعاذ بالله ورغب اليه من سخطه
وسخط أوليائه ، فان الأئمة صلوات الله عليهم
رحماء بمعباد الله وقد لعل من يذكره أحدهم
بالسوء يتعطف عليه بعد ذلك بالعتف والرحمة ،
وقد لعل من يعين عليه يقع مثل ذلك له به فما
يأمن على نفسه من السقطة من له فضل وعقل

وبصيرة وانما معول من يميز ويعقل على فضل
أولياء الله وتقدمهم وسترهم ورحمتهم .

فاما سوء القول في العدو باللسان واعتقاد
ذلك بالقلب فذلك هو الدين ولا تصح ولاية أولياء
الله الا بعداوة أعدائهم ، وكما لا تنفع الولاية الا
بالاعتقاد فكذلك لا تكون العداوة الا كذلك ، ولم
يقبل رسول الله (صلح) في علي عليه السلام :
« اللهم وال من والاه » فقط ، ولكنه قال : « اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه » . وقال الله عز
وجل « هذا من شيعته (١) وهذا من عدوه » . وان
استفهم الامام أحدا عن حال من يستفهم عن حاله ،
وسأله عن علم ما يعلمه منه ، أو أمره بتقديم من
يختاره فذكر من يعلم أو يتأدى اليه فيه قول لم
يسعه الا ذكره للامام لأن هذا كالكشف والامتحان
ولكن ينبغي للمقائل في ذلك قول الحق وتحري
الصدق ، فيمن كان القول وعمن كان السؤال من
قريب أو بعيد أو ولي أو عدو .

وان ذكر الامام أحدا بخير وأثنى عليه بجميل
شكر ذلك من يسمعه ويسأل الله أن يهب له ذلك

(١) بنسفة (م) اتباعه .

منه فان فضل أولياء الله على عباده ورحمته لخلقه
 ينبغي شكرها على كل من بلغته لأنها رحمة من
 الله لخلقه وكرامة وفضيلة لأوليائه ، ينبغي
 شكرها ونشرها عنهم اذ كان ذلك - كما قدمنا في
 غير موضع - لا يدرك منهم باستحقاق ولا ينال عنهم
 بواجب ، وانما هو تفضلهم ، فينبغي نشره وذكره
 وشكره لهم ، وان رفع الامام من قدر أحد وقربه
 وخصه وأدناه والطفه ، لم ينبغ لمن يرى ذلك أو
 تأدى اليه أن يحسده عليه ، وقد ذكرنا ذم الحسد
 والنهي عنه في موضعه . فان كانت عادة الامام
 تقدمت بدليل منه على وقت القيام فرأى ذلك
 الدليل قام من بحضرته فقبلوا الارض مسلمين
 وانصرفوا من غير اذن ، وان لم يكن ذلك نظروا
 اليه فان سكت عن الحديث ، أو رأوا منه ما يدل
 على ارادة القيام نهضوا ، فان أمرهم بالجلوس
 جلسوا ، يفعلون ذلك حتى يمسك الامام عنهم
 فينصرفوا ، وينبغي لهم التخفيف وترك الثقل
 على كل حال ، فان أحب الامام مقامهم فهو يأمرهم
 بذلك ومن أحب مقامه منهم ، فاذا انصرفوا من
 بين يديه فلا يولوه ظهورهم ، ولكن يمشون
 القهقري أو المرضية لا يستدبرون حتى يغيبوا عنه .

(١٢)

ذكر الأدب في مسائر الأئمة صلوات الله عليهم
وما ينبغي أن يفعله من سايرهم

ينبغي لمن ساير الأئمة في سفر أو حضر ، أن
يلزم الموضع الذي فيه رتبته ، فإن كان فيمن رتب
أن يسير بين يدي الامام سار كذلك ولزم ما أمر به ،
وجعل همته وشغله التحفظ لمكان الامام من غير أن
يكثر التلفت اليه ولا يشني عطفه نحوه ، ولكنه
يتفقد ذلك باختلاس من نظره ، ومشى عرضية في
خفية يرى منها الامام خلفه فيعرف أين هو منه ،
ومكانه من القدر الذي رتب له أن يكون فيما بينه
وبينه ، فإن بعد عن حد ذلك وقف حتى ينتهي
الامام الى الموضع (١) الذي يرى أن ما بينه وبينه
هو القدر الذي رتب له وان رأى الامام قد قرب

(١) بنسخة (هـ) المكان .

منه [حرك] حتى يكون الحد الذي ينبغي له أن يكون فيه ، وان كان على قصد اعتدال فوق الامام وقف حتى اذا سار سار بسيره ، لا يشغله عن محافظة ذلك شاغل ، ولا يتهاون به ولا يصرف همته عنه ، ولا يدع اشتغاله بشيء غيره من حديث ولا نظر الى ما يمر به ، ولا بغير ذلك على الوجوه والاسباب كلها ، وان كان ممن رسمه المشي بين يديه على القرب منه فينبغي له كذلك أن يلزم رتبته ويتحفظ على ما قدما ذكره ويلزم الوقار والسكينة وترك الحديث والكلام الا فيما سأل عنه الامام أو أمره به ؛ ويكون أهل هذه الطبقة من التحفظ والاصفاء الى الامام والنظر اليه بحال من ذكرناه أنه يقوم بين يديه ، فان دعا أحدا منهم سارع اليه ، وأقبل بوجهه عليه مطرقا يبصره الى الارض حتى يسمع ما يأمره وينفذه بحسبه ثم يعود الى مكانه ، ومن خصه الامام بمسايراته راكبا في موكبه والدين من ركابه فينبغي له أن يعرف قدر هذه الرتبة ومكان هذه المنزلة ولا يرى نفسه أهلا لنظره اليه فضلا عن الدين منه ومسايراته ، ثم يكون سيره خلف الامام فان استدعاه دنا قليلا بجاذبه غير مساويه في السير ولا مقارب له ومال

وتسقط الريح لما بها عليه ، ولكن يجعل الامام مما
 بوجهه وشقه الى الامام ، وأقبل بفهمه وسمعه عليه
 وأطرق ببصره اعظاما (١) له ، وفعل في مخاطبته
 ما قدمنا ذكره في المخاطبة في المجلس ولا يسايره
 من حيث تأخذ الريح عليه فتثير دابته الفبار اليه
 يلي الريح ويكون هو أسفل من ذلك ولا يدخل
 تحت ظله ولا يتقدمه ولا يساويه ويكون دونه
 شيئا ، ويلزم في حديثه واستماعه ما ذكرناه في مثل
 ذلك في المجلس ثم لا يرى أن هذه الرتبة تكون له
 ما عاش ، ولكن ينظر فان كان الامام قد تقدم اليه
 وأمره أن يسايره كلما ركب من دون أن يدعى الى
 ذلك امثل أمره ، غير جاعل ذلك لنفسه حقا واجبا
 ولا أمرا لازما ، بل يعتقد أن ذلك من فضل الامام
 عليه ، فان أخره عن ذلك لم ينكر ما تقدم من
 فضله ، ولم ير تأخيره نقصا عليه ولا سوء من
 الامام أتاه اليه بل يذكر فضله أولا وآخرا ويعلم
 أن حال الامام في ذلك حال يقرب منه من أراد
 لارادته ويؤخر من شاء كرايه ومشيبته لعله في ذلك
 أو لغير علة ليس عليه في ذلك تعقيب لمن فعل ذلك

(١) بصفة (م) تعظيما .

في انتقاد مذهب ، وان كان ممن دعاه الامام الى ذلك
 مرة أو مرارا أو مدة طويلة أو لم يأمره بمسايرته
 متى ركب ، لم يأت به إلا أن يدعى به فاذا دعي لذلك
 أتى الى ما دعي اليه ، وان دعي لغيره أتى لما دعي
 له بحسب ما يجب أن يأتي اليه ، ثم انصرف غير
 جاعل في نفسه لمسايرة الامام همة يتعلق بها قلبه ،
 وأن يرى أنه قصر به رتبة كانت جعلت له فقد
 ذكرت في غير موضع من هذا الكتاب ان فضل أولياء
 الله لمن أفضلوا عليه وعطاءهم ممن أعطوه ليس
 عليهم فيه واجب ولا هو لمن أولوه ضربة لازب ،
 انما هو فضلهم يؤتونه من أحبوه ويحبسونه اذا
 أرادوا ، ومن كانت رتبته المشي وراء الامام في
 موكب العامة مشى فيه على رتبته غير مشغول بما
 ينسيه نفسه ويخرجه عن حده ويلزم كل واحد من
 أهل هذا الموكب مكانه ويسير فيه بين أصحابه ،
 فان كانت الريح من ورائهم تثير عجاج سنايك خيلهم
 الى نحو الامام ، عدلوا عنه أو تباعدوا منه الى حيث
 لا يناله ذلك منهم ويلزموا السكينة وما فيه من
 توقير الامام ، وليحذروا اللجب والخصوم ورفع
 الأصوات ويفعل كذلك كل من سائر الامام ممن
 معه وممن بين يديه وممن خلفه .

وأفضل ذلك أن يكون معهم السلاح والمدة ،
ويجعلوا سيرهم مع امامهم رباطا عليه وحرسا (١)
له ومحافظة عليه ، ويعتقدوا ذلك ويضمره وينووه
ليؤجروا فيه • وكذلك ينوون ويعتقدون نظرهم
اليه عبادة لله الذي جعل ذلك لمن نواه وأضمره
كذلك • وان مشى الامام فينبغي لكل من سايره أن
يمشي خلفه ، وان دعاه الأمر دنا منه دنوا يسيرا
غير ملاصق له ، وأقبل عليه بوجهه وشقه ومشى
على جانب معه الى أن يقضي الامام ما أراده ، ثم
ينصرف من دعاه فيمشي خلفه واذا نزل الامام عن
دابته لحاجة ، فينبغي لمن كان معه أن ينزلوا عن
دوابهم ، ولا يقيموا ركباناً وهو قائم على الارض ،
فاذا ركب ركبوا ، وان نزل فصلى فصلوا بصلاته
ان أمهم ، وان أمر أن يصلي بهم أحدهم صلى بهم
أو وحدانا صلوا كذلك بحسب ما يأمرهم ، فان
نزل لحاجة تنحوا عنه حتى يقضي حاجته ، فان
تناول ماء يشربه أو شيئاً ما كان مما تناوله مالوا
عنه وصرفوا أبصارهم حتى ينتهي الى مراده من
ذلك وحاجته وما قد صاحبه وراكبه وسائره في

(١) بنسخة (م) وهارمسا •

مركبه على أن لا يفعل ذلك فليصبر عنه ، فإن لم
يكن له من ذلك بد فعل ما لا بد له منه في خفية من
الامام ولا يفعلونه معا ، ولكن واحد بعد واحد ،
فاذا انصرفوا ودنا من قصره أو سرادقه ان كان
سلموا عليه ، ووقفوا حتى يدخل ثم انصرف كل
واحد منهم الى موضعه .

(١٣)

ذكر حضور طعام الأئمة صلوات الله عليهم

قال الله جل ذكره « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق (١) » فهذا ما فرض الله على المؤمنين لنبيهم صلى الله عليه الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته وكذلك ينبغي لهم لزوم هذا الادب الصالح لأئمتهم فلا يأتي طعامهم ويدخل اليهم في بيوتهم الا من دعى الى أكله الا أن يكون ذلك من الطعام الذي أباحوه لساير الناس أو لمثل من يريد أكله ، فاذا كان ذلك فله أكله بالاباحة ، وان لم يدع باسمه

(١) سورة الاحزاب ٥٢/٤٣ •

اليه ويباح له بعينه •

وينبغي لكل من أكل طعام الأئمة أن يعلم قدره
ويمظمه حق تعظيمه ، فقد جاء عن رسول الله صلى
الله عليه وآله أنه قال : اذا وضعت موائد آل محمد
حفت بها الملائكة يستغفرون الله لهم ولمن أكل من
طعامهم • وكان بعض الأئمة صلوات الله عليهم
اذا قرب طعامه الى من يحضره اليه يقول لهم : كلوا
وتبركوا به • وينبغي لمن أراد حضور طعامهم أن
ينظف أطرافه وشعره وبشره وثيابه وجوارحه
وأظفاره ، ولا يرى عليه ما يقدر من أجله ، ثم
اذا جلس الى الطعام ينتظره فليجلس بسكينة ووقار ،
فاذا أتى بالفسل غسل يده غسلا نظيفا موجزا
وينشفها بالمنديل ، فاذا قرب الطعام جلس له
مستوفزا غير متربع ولا متكيء ، ولكن يقيم رجله
اليمنى ويشني الأخرى تحته ، وقد جاء عن رسول
الله صلى الله عليه وآله أنه كان كذلك يأكل ويقول :
أكل كما يأكل العبد ، ونهى أن يأكل أحد متكيا ،
وخالفته بنو أمية فهم الى اليوم وأتباعهم متكئون
اذا أكلوا • فاذا مد يده الى الطعام سمي الله تعالى ،
واذا فرغ من لون حمد الله تعالى ، واذا تناول

لونا آخر سمي الله تعالى عندما يبتديء ، فقد اوي
عن علي سلام الله عليه أنه قال : من سمي الله
تعالى على طعامه لم يضره . فقال له ابن الكوفاني :
أكلت البارحة طعاما سميت عليه وقد ضرني قال :
لملك يا لكع أكلت ألوانا سميت على بعضها دون
البعض . فقال : أما ذلك فقد كان . فقال : من
ها هنا أوتيت .

وإذا تناول الطعام فليتناوله بالخمسة الأصابع
فإنها سنة رسول الله (صلح) وسنة الأئمة صلوات
الله عليهم خلاف سنة الجبارين الذين يتناولون
بثلاث أصابع وبالسكاكين وكلايب وتلقمه
الجبارون (١) أنفة منهم عن تناوله بأيديهم ،
والطعام رزق الله تعالى وتمظيمه من تعظيم الله
تعالى ، فينبغي أن لا يأنف الأكل عنه ولا يرفع
نفسه فيه ، ويستعمل من ذلك سنة نبيه (صلح)
وسنة الأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم
أجمعين ، ويتناول الأكل مما يليه من الطعام ، ولا
يجيل يده الى كل ناحية في المائدة ولا في الصحن ،
وكان كذلك رسول الله (صلح) لا يفعل الا في

(١) بنسفة (هـ) الجبارة .

التمر ، فانه كان يجيل يده في الطبق ويختار ما يتناول منه ، فيجب اتباع سنته ، ولا يتناول الاكل من ذروة الثريد ، ولا من وسط الصفحة ، فقد نهى عن ذلك ، ولكن يتناول مما بين يديه منها ، ولا يتجاوز في الاكل كما يتجاوز أهل النعمة ، ولا يقصر فيه تقصير أهل الأنفة والبذخ ، ولكن يأكل أكل الحاجة الى الطعام ، ويجيد أكله . ولا يقصر فيه ، فقد رأى بعض الأئمة (صلح) رجلا يأكل من طعامه أكل تقصير فقال : من مودة الرجل لأخيه جودة أكله لطعامه .

وانما نهينا عن الاسراف في الأكل للشره والرغبة كأكل المنهومين المستأكلين ، فأما من أكل كمادته ومنتهى حاجته فذلك حسن جميل ، فأما الأخذ من الطعام وحمله فذلك ما لا أحسب أن أحدا يجهل عاره واثمه . فينبغي لمن أكل من طعام أولياء الله أن لا يفعله أكان مباحا أو مدعوا اليه ، وينبغي لزوم الصمت عند الطعام (١) وترك الكلام الا فيما لا بد منه ، وأن يحذر الاكل ويتقي سيلان أنفه ودموعه وريقه ، فان غلب شيء من ذلك عليه أو

(١) بلسفة (هـ) الاكل .

بدر منه تناوله تناولا خفيفا بالمنديل دون يده ،
 ويستر ذلك ما قدر عليه ، وان اعترضته سمالة
 أمسكها ما استطاع فان لم يقدر على حبسها مال
 بوجهه عن المائدة ، وصوب رأسه وستر فاه بالمنديل
 حتى يقضي سماله ، وكذلك يفعل في العطاس وما
 اعتراه من أثر وهو يأكل ، ولا ينظر في وجوه
 الآكلين ولا الى ما يتناولون ، ولا ينبغي أن يناول
 بعضهم بعضا من الطعام ، ولا أن يحث بعضهم
 بعضا على الاكل ، فان ذلك من فعل بعض العوام ،
 ويتقي تلطix يديه بالطعام ، ولا بأس أن يلمق
 أصابعه عند فراغه من الطعام ، فقد كان رسول الله
 (صلح) يفعل ذلك تعظيما للطعام عن مسحه في
 المنديل واذا رأى أنه انتهى الى حاجته من الطعام
 ومن معه يأكلون فلا يرفع يده دونهم ، ويتناول
 الشيء بعد الشيء حتى يرفعوا أيديهم أو أكثرهم
 فحينئذ يرفع يده ، وينبغي أن لا يشرب الماء قبل
 كفايته من الطعام ثم يعود اليه ، ولكن اذا رفع
 رأسه ولمق يده فليشرب ، فان اضطر الى ذلك قبل
 فراغه فليمسح يده ثم ليشرب ان شاء ويعود الى
 الطعام ان لم يكن قد اكتفى منه وكان أصحابه
 يأكلون ، واذا شرب فليسم الله حين يبدأ ويحمده

بيده من الطعام ثم مسحها بالمنديل وغسل يده ان
أتى بالفسل فان كان أكله بحضرة الامام لم يفسل
يده بحيث يراه ، ويتنحى ناحية فيفسلها ، لأن ذلك
من التعظيم له الا أن يأمره بذلك فليمتثل أمره ،
فان بقي في فيه طعام فلا يلفظه وليبتلع منه ما كان
فيه ، وما أدار لسانه عليه ، وما أكرهه بالخلال
لفظه ولم يبتلعه ، فاذا قضى ذلك قام كما أمر الله
من أكل طعام نبيه الا أن يكون للامام أمر في
الجلوس فليمتثل أمره صلوات الله عليه .

(١٤)

ذكر اداب اهل بيوتات الأئمة وما ينبغي أن
ياخذوا به أنفسهم لهم

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه (صلح) « وأنذر
عشيرتك الاقربين » كما قال الله تعالى « وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب » فالأقارب والأباعد من
الأئمة ص.ع. بوعد الله عز وجل منذرون ،
حين يفرغ ، وكذلك يفعل كلما تنفس في الشرب ،
واذا عاد الى الاكل سمي الله ، واذا فرغ من الاكل
حمد الله ودعا للامام بخير ، وتناول بقية ما لصق
وبفرائضه يتعبدون ، وبالطاعة لأوليائه مأمورون ،
وفي جملة من أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله
وطاعة أولي الأمر داخلون ، ولذلك قال رسول الله
(صلح) لبني عبد المطلب « يا بني عبد المطلب
لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم ، فاني
لا أغني عنكم من الله شيئا الا بعمل صالح تعملونه

وانما يقربكم من الله أعمالكم ويبعدكم عنه ما
اقترفتم .

وسأل رجل جعفر بن محمد صلوات الله عليه
عن قول رسول الله (صلح) : « من مات لا يعرف
امام دهره مات ميتة جاهلية » فقال عليه السلام
قد قال ذلك رسول الله (صلح) . قال السائل :
فكذلك من مات منكم أهل البيت لا يعرف امام
دهره ؟ قال : نعم ، من مات منا أهل البيت لا يعرف
امام دهره مات ميتة (١) جاهلية ، هم والله والناس
في هذا بمنزلة واحدة . وأهل بيوتات الأئمة أحق
الناس وأولاهم بمعرفتهم والتسليم لهم وامتنال
امر الله فيهم ، والحجة عليهم في انكارهم أكد منها
على غيرهم ، وان كانت الحجة في ذلك لازمة للقريب
والبعيد ، فان من قرب من الحق كان الحق ألزم له
فينبغي لأهل بيوتات الأئمة ، ومن قرب منهم أن
يكونوا أعلم الناس بواجبهم ، وأقومهم بحقوقهم
وأطوعهم لهم ، ولا تذهب بهم الأنفة عنهم والحسد
لهم والكبر عن التذلل اليهم والوقوع دونهم الى
الكفر بالله ربهم والانسلاخ والخروج من دينهم ،

(١) بفسفة (هـ) مودة .

فان الله هو اختارهم منهم واصطفاهم عليهم وأمرهم
 كما أمر جميع العباد بطاعتهم ، فأياه يشاقون
 بمشاققتهم ، وعليه يتكبرون ان تكبروا عليهم ،
 وعنه يعدلون ان عدلوا عنهم ، وهو عز وجل مذل
 من شاقه ومهين من تكبر عليه ، ومهلك من عدل
 عنه ، ولم يهلك من أهل بيوتات الأئمة الا بظنهم
 أن لهم فضلا فيما افترض الله على العباد دونهم ،
 كما قال طلحة والزبير لعلي صلوات الله عليه لما
 أعطيا مثل ما أعطى الناس : فأين قرابتنا وسابقتنا
 يا أمير المؤمنين •• قال : قرابتكما وسابقتكما
 أسبق وأقرب أم قرابتي وسابقتي ! قال : بل
 قرابتك وسابقتك • قال : أفكان رسول الله (صلع)
 يقسم بالسوية أو يفضل أحدا على أحد ! قال :
 بل كان يقسم بالسوية ولكن الذين بعده فضلونا •
 قال : أفهم أعلم أم رسول الله ؟ قال : بل رسول
 الله (صلع) ••• في كلام طويل احتج فيه عليهما
 فاتفقا بذلك وما كان هلاكهما الا بسبب ما ظناه من
 أن لهما فضلا على غيرهما ، فنكثا بيعته وخرجا
 عليه فكان من أمرهما ما يطول •

وسأل رجل من ولد الحسن بعض أولياء الأئمة ودعاتهم ممن كان قد استحكم أمره وظهر سلطان أولياء الله على يديه أن يعطيه مما أفاء الله عليه ، فلم يفعل ، فقال له : تمنعني على قرابتي ممن تدعو اليه وتعطي هؤلاء . فقال له : أخبرني من كان أولى بالناس بعد رسول الله (صلح) ! قال : علي بن أبي طالب . قال : ثم من كان أحق الناس بعد علي ؟ قال : الحسن . وعدد كذلك جماعة من الأئمة عليهم السلام . ثم قال له : فهل كان أحد من هؤلاء الذين كانت لهم الإمامة في حياة من قبله قد سقط عنه بذلك فرض الإمام الذي كان قبله ووجب على غيره ، أو كان له حق عليه ليس هو لمن سواه في مال الله في يديه قال : لا . قال : فإذا كان هذا لا يكون للأئمة في ذات أنفسهم ، فكيف يكون لمن يتوسل وتقرب بقرابتهم ، فإن كانت يدك مع أيدي هؤلاء الذين أعطيتهم أعطيتك بواجب ذلك ، والا فانت وهم وسائر الناس بمنزلة واحدة في ذلك . ولو كانت القرابة توجب حقاً في ذلك لأوجبت لأبناء الانبياء وأبنائهم ونسائهم ، فقد قال الله عز وجل « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ

منه « . وقال لنوح في ابنه : « انه ليس من اهلك
 انه عمل غير صالح » قال « وضرب الله مثلا للذين
 كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين
 من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من
 الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين » وقال :
 يا نساء النبي من ياتي منكن بفاحشة مبينة
 يضاعف لها العذاب ضعفين « . وانما تنفع القرابة
 مع الاعمال الصالحة كما قال تعالى : « والذين آمنوا
 واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم » .
 وقال تعالى لنساء النبي « ومن يقنت منكن لله
 ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرا مرتين ، واعتدنا
 لها رزقا كريما » فينبغي لأهل بيوتات (١) الأئمة
 أن يعرفوا هذا ويتدبروه من كتاب الله وقول
 رسوله وسنة الله في الذين خلوا من قبلهم ، فان
 ابن آدم انما أهلكه حسده لأخيه ، اذ قبل الله
 قربانه دونه وقدمه عليه ، وقد ذكرنا الحسد وما
 يدعو اليه والنهي عنه وما جاء فيه فلحذروه على
 أنفسهم ، ويقدمول من قدمه الله منهم واصطفاه
 عليهم من أئمتهم ، ويقوموا بشرائطهم وما أوجب

(١) بنسفة (م) بيوت .

الله عليهم لهم ، ويطيعوهم كما أمر الله حق طاعتهم ، ولا يروا أن لهم في ذلك فضلا على أحد من الناس غيرهم ، ولا واجبا يسقط عنهم دونهم ، بل الحق في ذلك عليهم أكد ، والغرض أوجب .

كما أن فضل العالم على الناس واجب من وجه علمه وفضله وواجبه على أهله وولده من وجهين ، من وجه علمه ووجه أبوته وقرباته ، وكذلك فضل الامام وحقه على أهل بيته يجب لامامته ويجب لرحمه وقرباته ، وتصل قرباتهم به طاعتهم اياه ، وتقطعها معصيتهم له ، كما برأ الله ابراهيم من آييه ، ونفى ابن نوح لمعصية منه ، فمن لم يعرف الامام من أهل بيته ، ويقر بامامته ، فهو جاهل كما قال رسول الله (صلح) ، ومقطوع النسب كما قطع الله نسب ابن نوح منه ، وقد زال فضل القرابة عنه ولحق اسم الجاهلية به ، ووجب أن يكون من أخس خلق الله عند من يعرفه وأهونهم عليه وأقلهم قدرا عنده .

ذكر الآداب في طلب العوائج من الأئمة

قد جعل الله عز وجل عند أوليائه لمن عرفهم وسلم لأمرهم ودان بطاعتهم وامامتهم خير الدنيا والآخرة ، فمن أراد الآخرة محضاً عندهم وجدها ، ومن أحب الدنيا لديهم أصابها ، ومن طلبهما معاً وجدهما . فينبغي لمن أراد سؤالهم لنفسه أو لغيره ! مرا من أمور ديناه أو من أمور آخرته أن يتلطف في السؤال ، ويتحرى به مواطن الإقبال ، ويجعل لكل وجه من سؤاله حداً فيقدم فيه لنفسه روية وأدباً فان سأل أمر الدين الحف واجتهد ، وان سأل في أمر الدنيا خفف واقتصد ، ولا يتمدى في كلا الأمرين وحده ولا يتجاوز قدره ، فان سأل من أمر الدين لم يسأل ما لا ينبغي له ، وان سأل من أمر الدنيا لم يسأل ما جاوز حده فقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه سمع رجلاً يقول : اللهم اجعلني من الذين يقولون ربنا هب لنا من

أزواجنا وذرياتنا (١) قرّة أعين واجعلنا للمتقين
اماما فقال : لقد سألت ربك شططا ، سألته أن
يجعلك اماما مفترض الطاعة وهذا ما لا يكون لك .
وجاء عن علي صلى الله عليه أن عقيل أخاه
سأله أن يعطيه مالا لا يستطيعه ولا يمكنه فقال له :
يا عقيل اذا كان من الليل فأتني لنخرج فننزل على
فلان اليهود وكان ذا مال فنقتله ونأخذ ماله فنعطيه
ففيه فوق ما سألت . فقال سبحان الله تعالى يا
أمير المؤمنين وتفعل هذا ؟ فقال : لا والله ما كنت
بالذي أفعله وان الذي لله من ماله في يدي لأعظم
حرمة منه ولكن ان صبرت حتى يخرج عطائي
قاسمتك اياه فتركه ولحق معاوية ، فكانت له مع
معاوية أخبار يطول ذكرها ، بكت فيها معاوية
وأخزاه وفضحه ، وذلك أنه رام منه نقص علي
(ص) فلم يعطه الدنية من نفسه في ذلك فكان منه
اليه ما خلد ذكره عنه من القول فيه . وكذلك ينبغي
لمن سأل أولياء الله أمرا من أمور الدنيا أو الدين
أن لا يسألهم من ذلك شططا وان سأل أمرا من أمور
الدين لم يسأل لطلب رياسة ولا لرياء ولا لينال به
أمرا من أمور الدنيا فقد جاء عن رسول الله (صلح)

(١) بلسفة (م) ونراينا .

انه قال : من طلب أمرا من أمور الآخرة ليبتغي به
 أمرا من أمور الدنيا يجد ربح الجنة وأن ربحها
 ليجد من مسيرة مائة خريف . وأن طلب أمرا من
 أمور الدنيا لم يطلبه شرها ولا الحافا ولا على ظهر
 غنى الأئمة ، فقد بلغني عن بعض أولياء الله ممن
 مكن له وظهر سلطان أولياء الله على يديه انه قال
 لقوم من المؤمنين وقد ذكروا السؤال فقال : حرام
 على من سألتني منكم دينارا وعنده دينار ، أو دابة
 وعنده دابة ، أو شيئا ما كان وعنده مثله ، فيكون
 قد سأل ما عنده العوض منه ، وسأل عن ظهر غني ،
 وقد جاء عن رسول الله (صلعم) وعلى آله أنه
 قال : لا تحل المسألة عن ظهر غني ، ومن سأل وعنده
 ما يفنيه جاء ذلك خدوشا (١) وكدوحا في وجهه
 ومما ينبغي لمن سأل الأئمة أن يجعل سؤاله
 تعريضا ولا يجعله الحافا وتصريحا ، فان حسن
 سؤاله عندهم منحوه ما سأل متطولين ، وإن لم
 يحسن لديهم أمسكوا عنه غير متكلفين لأنه [قد لعل]
 السائل يسأل ما يجهله ويعظم الرد على أولياء الله
 لما جبلهم الله عليه من الكرم فان أعطوه ذلك أعطوه
 عن استكراه وإن منعه منعوه كذلك . وإذا كان

(١) بلسفة (هـ) جروها .

السؤال تعريضا ، ولم يكن تصريحاً كانوا مخيرين في الاعطاء وفي مندوحة من الفضل ، فان أعطي الطالب أعطي من غير استئصال ، وان أمسك عنه عوفي عن نقص الرد بعد السؤال . ففي ذلك توقير جاهه والتخفيف عن أئمة . وينبغي للمؤمن اذا احتاج أن لا يبذل ماء وجهه الا لامامه فان لم يمكنه ذلك فلا يمكنه الا لأوثق من يراه من المؤمنين اخوانه ولا يتعرض المسألة لأعدائه ، ولا يقبل منهم وان جادوا عليه وابتدأوه فان ذلك عز الايمان والمؤمنين .

وقد قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال : شيعتنا من لا [يتوالى عنا عدوا] ولا يسأله ولا يقبل منه وان هلك ضياعا . ونهى صلى الله عليه وسلم عن قبول هدايا المشركين والمخالفين وتحفهم وصلاتهم لئلا يستميل ذلك القلوب ، وقال بعض أولياء الأئمة لأصحابه : حرام على من احتاج فسأل غيري أو الثقة من اخوانه .

وقد قيل اعط من شئت فأنت أميره وخذ ممن شئت فأنت أسيره . ولا ينبغي للمؤمن أن يأسر نفسه لعدوه ، ولكن ان وجد شيئا من وجهه والا فليصبر حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا من أموره ويرزقه من حيث لا يحتسب كما وعد من ارتضاه من أهل دينه .

(١٦)

ذكر النهي عن اتكار أفعال الأئمة والأمر بتأتيها عنهم بالقبول

قال الله عز وجل : « وما أتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال : لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .
فطاعة رسول الله (صلح) فيما أمر به والانتهاز
عما نهى عنه وترك الخلاف عليه فرض من الله
تعالى على عباده وذلك من وجوه الطاعات له ، وقد
قرن الله تعالى طاعة الأئمة بطاعته والطاعة لا تكون
باللسان حتى تصحبها النية والاعتقاد ، ولم يجعل
الله لأحد من عباده أن ينتقد على رسول الله (صلح)
ولا أن يتمقب شيئا من فعله ولا أن ينكره بلسانه
ولا بقلبه بل أوجب عز وجل التسليم له في كتابه

ولم يوجب الايمان الا به . وكذلك يجب ذلك لمن وصل الله طاعته بطاعته وجعله للأمة خلفا منه وهم الأئمة من أهل بيته (صلح) ، فالواجب لكل امام على أهل زمانه طاعتهم له وتسليمهم لأمره وتركهم الاعتراض عليه ومخالفة أمره والانتقاد عليه والتمقّب لأفعاله لأن الله عز وجل قد قلّد الامام أمور عبادته وتكفل بتوقيفه وتسديده ، وأورثه عمن تقدم من آبائه ، وزاده من فضله ومدّه بمعاونته ، والامام ينظر بنور ربه ويعمل بتأييده اياه ونعونه له ، وارشاده لما يحسن به العواقب ويصلح العمل به في كل عصر وزمان ومع كل قرن وفي كل وقت وأوان . ويجري في كل يوم تدبيره ويستعمل لكل زمان ما يصلحه ، ويحدث في كل عصر ما يشبهه ويقابل كل قوم بما ينبغي أن يقابلهم به ويظهر في كل حين ما يصلح اظهاره فيه من أمر يأمر به ونهى ينهى عنه وحادث يحدثه وأمر يظهره وحالة يستعملها ، وسيرة يجريها والناس عن تدبيره ذلك كله بمعزل وعن علم الصلاح فيه بجانب غير أنهم قد أغروا بالانكار على الأئمة وتكلفوا ما قد حمل من فعلهم وما لم يجعل الله تعاقبه وانكاره اليهم ، بل قد أوجب الاذعان

والتسليم فيه عليهم فان نظروا الى زي الأئمة
 (صلع) ولباسهم وما يظهرونه من الاعداد والقوة
 لمباهات أعدائهم ويصنعونه ويقيمونه لردعهم (١)
 وارهباهم أو هموا لمن وهم بذلك وطمنوا فيه عليهم
 وتكلموا فيه وأنكروه من فعلهم ، وقالوا لم يكن
 رسول الله والخلفاء من بعده يتبعون مثل هذا
 كأنهم لم يسمعوا ما ذكره الله عز وجل في القرآن
 بما وهب من الملك ليوسف وداود وسليمان وما
 جاء عنهم في الاخبار مما كان لهم من النعم في الدنيا
 والآثار ولغيرهم من النبيين والصديقين والصالحين
 وما جاء في ذلك من الأئمة الراشدين .

فقد روي عن جعفر بن محمد أنه قال : كان
 نبي بن نبي بن نبي بن نبي يجلس مجلس آل
 فرعون في أقبية الديباج مزررة بأزرة الذهب على
 الأسرة المرسعة بالجواهر يقضي بين الناس بحكم
 الله تعالى وبكتابه ، وجاء عنه عليه السلام أنه
 قال كان لسليمان بن داود قصر فيه ألف حجرة في
 كل حجرة منها امرأة كانت له ألف طروقة منهن
 ثلثمائة مهريّة وسبعمائة سرية . وحج صلوات الله
 عليه في ثوبين [قوهين] فبينما هو في الطواف إذ

(١) بلسفة (م) كنعهم .

أخذ طرف ثوبه عباد البصري فقال : يا أبا عبد الله
تلبس مثل هذا وقد علمت كيف كان لباس جدك
علي بن أبي طالب (صلح) ...

ذلك اللباس ولو لبست أنا اليوم مثله لقال
الناس ان جعفر بن محمد لمراء كعباد البصري ،
فأسكت عباد ، ولم يعر جوابا ، وتغامز الناس به
ولقد كان يوصف بالرياء ، والاخبار في مثل هذا
تخرج عن حد هذا الكتاب ، وقد قال الله تعالى
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
خالصة يوم القيامة » (١) والدنيا عند أولياء الله
أهون من الذر ومقداره ، ومن الهباء المنبث وغباره ،
ولهم فيها نظر وتدبير فيما يأتونه ويدبرونه في كل
دهر وزمان بما يرون بأنهم يصلحون ، فالحذر عباد
الله الحذر من انكار ما تروونه وتشاهدونه من أمرهم
وفعلهم ، واغضائهم وانكارهم وتصرف الاحوال
بهم وعن أمرهم بالسنتكم أو بقلوبكم أو بخواطر
انفسكم ، وعليكم ما حملتم ، وسلموا لهم ما حملوا
تفبطوا وتسعدوا وتسلموا فكفى بالمرء جهلا أن

(١) سورة الاعراف ٣٢/٧ .

يتكلف أمرا لم يكلفه ، واعلموا أن سمي الأئمة (صلح) وما يفعلونه واظهارهم ما يظهرونه جهادا لأعداء الله ، واستعدادا في سبيل الله فان ظفرتم انتم من حلال الدنيا دون حرامها ، وطيب كسبها دون خبيث حطامها ، فقصدتم به ذلك فيها وأخرجتم من واجب الله اليهم فيها ، فانتم السعداء بما اكتسبتم ، والفائزون بما علمتم ، وان تريدوا بذلك فخرها ومضاهاة أولياء الله بما يظهرون منها فانتم الخاسرون والمعتدون من فعل ذلك فيها أعاذكم الله من الخسران والزيف .

فقد جاء : أن من تزىي بزي الامام فقد كفر . وقال جعفر بن محمد (صلح) : أشرك من ترأس علينا ان الرياسة لا تكون الا لنا . ورأى بعض الأئمة (صلح) بعض رجاله وقد تزىي بمثل زيه ، فأمر به فأدب أدبا نكل فيه ، اذ علم صلوات الله عليهم منه أنه أراد بذلك أن يضاهيه . وكذلك ينكر الجهال على الأئمة صلوات الله عليه ما فعله الناس في أزمانهم ، ويأتيه من خالف أمرهم من عمالهم والمتسببين بأسبابهم ، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى في كتابه : وذمه من اتبع من اتبعوه من عباده على أنبيائه وأصفياه اذ يقول جل ثناؤه

كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا (١) » . وقال
 « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في خالد بن الوليد
 لما خالف أمره وفعل ما لا يجب فعله فيما وجهه له
 واستعمله عليه : « اللهم اني أبرأ اليك مما فعل
 خالد » فليس من خالف الله ورسوله وأوليائه فيما
 أمروا به حجة عليهم ، وانما الحجة في ذلك على من
 خالف الحق فيه ، وليس على أنبيائه وخلفائه في
 أرضه حجة فيما خالفهم فيه من تعدى فظلم نفسه
 بمخالفتهم ، فمن أنكر هذا على أولياء الله فانما
 أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى في ذلك قد
 خولف ، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من
 أمرهم ونهيهم من نهيه . ومما ينكره من أمور
 الأئمة من لا دين له يرجع اليه ، ولا تمييز له يقتصر
 عليه ، ولا عقل له من ذلك يردعه لو ذكرناه لطلال
 به الشرح ، وخرج عن مقدار هذا الكتاب حده
 والوصايا فيه والتحذير منه ، وقد جاء عن بعض
 الدعاة الى الأئمة صلوات الله عليهم قول يعبر عن
 جميع ذلك ويأتي على جملة ، وذلك أن بعض

الأولياء من خراسان سأل داعيه الاذن له في المصير الى بعض الأئمة (صلح) فلم يأذن له في ذلك فآلح عليه فقال له : ويحك مقامك ما هنا أسلم لك وأعفى . قال وكيف ذلك قال : أنت ما هنا على يقين ومعرفة بامامك والأئمة (صلح) لما ظهوروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم الا بمعاملة أهل الدنيا بالدنيا وأخشى عليك ان أنت صرت الى دار الامام أن ترى بعض ذلك فتنكره بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك ، قال : ما كنت بالذي أنكر شيئا من ذلك ما كان . فآلح عليه ج الاذن فقال : ان لم يكن في ذلك بد فأخذ عليك العهد كما أخذته أولا أنك ان رأيت الامام بعينيك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش (١) - وقد أعاذ الله الأئمة من ذلك - أنك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك ولا يخالجك الشك فيه أنه صواب وحق قال : نعم فخذ علي ، فأخذ في ذلك عليه . قال الرجل : فوالله لولا ما كان منه الي في ذلك لهلكت كما قال ، ولكن اذا رأيت أمرا أنكروه ذكرت ما كان منه . وهذا وما يدخل في معناه ، أشبه شيء بما قدمنا ذكره من قصة موسى ع م والعالم فيما أنكروه موسى وهو

(١) بنسفة (هـ) الفاحشة .

صواب وحق من فعل العالم في السفينة والفلام
والجدار ، على ما ذكره الله عز وجل في كتابه .
أدبوا أنفسكم أيها المؤمنون وانهاها عما تنكره من
أفعال الأئمة ، واغضائها عما تنكره من أفعال أهل
رمانها ، وسلموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم
لهم وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم
واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم والله ولي
التوفيق .

(١٧)

ذكر ما ينبغي لمن استرعى أمر رعايا الأئمة
من السيرة بالعدل فيمن ولوا أمره من الأمة

هذا باب يدخل في جملة كل عامل للأئمة صلح
على ما استعملوه عليه من رعية أو مال أو أمانة أو
عمل ما كان ذلك العمل ، ويجب على جميعهم ما
يجري ذكره فيه وما يجري في هذا الكتاب مما جرى
مجرى العموم ويدخل في هذا الباب جميع العباد
على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
أنه قال : كلكم أمير وكل مسئول عن رعيته فالأمير
مسئول عن أمر عليه ، والرجل أمير على عياله
ومسئول عنهم ، والمرأة أميرة على بيت زوجها
وعلى [ما استحفظه عليها فيها] وفي نفسها
ومسئولة عن ذلك ، والعبد أمير على ما أقامه له
مولاه من مال ومسئول عنه فليثق الله كل امرئ

منكم فيما أمر عليه وليعلم أنه مسئول عنه . وهذا قول جرى مجرى العموم عن رسول الله (صلع) فينبغي لمن دخل في جملة هذا القول أن يحافظ على ما استحفظه رسول الله صلى الله عليه وآله ويحاسب فيه نفسه ويعلم أنه كما أخبره نبيه مسئول عنه . وأول ما ينبغي لمن ولي شيئا من أمور الناس أو من أمور الأئمة (صلع) أن يبتديء بصلاح نفسه قبل صلاح ما استعمل لأصلحه فانه من ضيع أمر نفسه كان لما سواه أضيع ، فكيف يأمر بالمعروف من لا يفعله ، أم كيف ينهى عن المنكر من يرتكبه ، قال الله تعالى : « أأمرؤن الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعلمون (١) » .

وقال رسول الله (صلع) : « لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر الراكبين له » ، فكيف يرجو خيرا من بكته الله في كتابه ولعنه على لسان رسوله ، أم كيف يزكو عمله ، أو يصلح الله به أمرا من أمور عباده ، ولكن اذا بدأ هذا بنفسه فأصلحها وجب أن ينظر في صلاح غيره والا فكيف يرجو صلاح غيره وهو فاسد في ذات نفسه ،

أو يتمقب الخيانة على غيره وهو خائن في ذاته والله يقول : « أن الله لا يهدي كيد الخائنين (١) » ولا يصلح عمل المفسدين . وجاء في الحديث : كيف ينظر أحدكم الى القذى في عين أخيه ويدع المجزع المعترض في عينيه . فمن أمر نفسه بالمعروف ونهاها عن المنكر وجب أن يأمر وينهي بذلك غيره إذا نصب له ، ويأخذ على يديه فيه والا فانه بمنزلة طبيب انتصب لعلاج الناس من داء هو ظاهر به فمن ذا تراه يثق بعلاجه أو يطيب نفسا به ويرجو البراءة على يديه ، وهو يرى أنه لم يبريء نفسه التي هي أحب الانفس اليه وأعزها عليه ، وهو بها أعنى وعلى عافيتها وصحتها أحرص ، وأخلق بمثل هذا الطبيب (٢) أن يتحاشاه الناس فلا يأمنه أحد لعلاج . فان كان هذا يجري هذا المجرى في علاج هذه الابدان القليلة البقاء القريبة الفناء ، فكيف ينبغي أن يكون النظر للانفس التي يرجى لها الثواب الدائم ، ويخاف عليها العذاب اللازم ، فاذا أحكم الداعي هذا من نفسه فلينظر فيما استرعاه وليؤد الامانة لله ولأوليائه فيه فانه

(١) سورة يوسف ٥٢/١٢

(٢) بنسخة (هـ) الحكيم

إذا أصلح أمر نفسه أصلح الله له كل أمر يريد صلاحه .

وقد جاء عن رسول الله (صلح) أنه قال :
من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين
عباده . وفيما ذكرته من هذا بلاغ وكفاية عما
سواه من الوصايا ، لأن صلاح الحالات يأتي على
جميع الخيرات ، والصالح بالحقيقة لا يأتي سوءا
ولا يرتكب خطيئة ، فإذا كان كذلك صلحت أعماله
كلها ، ونجا من تبعثها واثمها ، ولكن في الزيادة في
الشرح خير وتنبيه ، فيجب عليه بعد ذلك أن يقتدي ،
في كل ما يأتيه ويذره ويعطيه ويأخذه ، بكتاب الله
تعالى وسنة رسوله وقول مواليه الأئمة من أهل بيته
ووصية امام عصره ومن أقامه لوصاياه ، في هذا
أيضا جماع كل شيء . وقال تعالى : « ما فرطنا في
الكتاب من شيء » . وقال تعالى : « فيه تبيان كل
شيء » . وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تعالى : « أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » . ثم
نزيد بالشرح والبيان ونقول انه يجب على المؤمن
أن لا يعمل عملا يستحي من امامه فمن دونه أن
يعمل ذلك بحضرة الا ما كان من الحلال الذي لا

شبهة فيه ، مثل اتيان أهله ومنزله ومطعمه ومشربه الذي لا شك فيه عنده أنه حل له ، ولكنه لا ينبغي له أن يجاهر بكثير منه ، فأما ما كان حراما لا شك فيه أو شبهة لا يقين معها ، فينبغي اجتنابه في السر والعلانية والمشهد والمغيب ، وقد تقدم مثل هذا في غير هذا الباب ، ويشعر مع ذلك نفسه ويجعل نصب عينه خوف العقوبة ورجاء المثوبة في عاجل الدنيا وفي أجل الآخرة فيما يعمله ويقوله وينويه ويسره ويجهره ، حتى كأن الجنة والنار وما يرجى ويخاف في الدنيا من ثوب أو عقاب بين يديه ونصب عينيه ، وأعماله قد دونت وأحصيت له وعليه ، وأنه قد أدنى من الحساب ، وجوزي باستحقاقه عليها من الثواب والعقاب ، ويتذكر ويتفكر ويتدبر وينظر ما بين خير قليل دائم له في دنياه موصول له بالنعيم الباقي في أخراه ، وبين لذة يستعجلها ، ونهمة يتقدمها ، ورغبة يصل إليها ، تعقبه انقطاع الخير العاجل له ، وتوجب العذاب الدائم فيه ، مع حسن الثناء في الدنيا على أهل الفضل والامانة وسوء القول في أهل الشر والخيانة ، مع أن ما تفيده الخيانة من حطام الدنيا كالسراب الزائل فيها ، والزبد الذاهب جفاء منها ، والبركة كل البركة في

الحلال ، وهذا معلوم موجود في أكثر هذه الاحوال ، مع واجب امتثال أمر الله تعالى في ذلك اذ يقول في كتابه : « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر (١) » . وقوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (٢) » . وقوله : « اذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا (٣) » . وكثير من نظائر ذلك في كتاب الله جل ذكره وقول رسول الله صلى الله عليه . وما تدبر هذا وما قدمنا ذكره في هذا الباب عاقل الا تبين له وجه الصواب فيه ، وما يعنى عنه الا الرعاع ومن جهل حظه ، وكان بالبهايم أشبه منه حاسة ومعرفة من بنى آدم ، فان قول أمثال من كانت هذه حاله في مثل هذا المعنى : أنفع الاشياء لك عاجل يومك . وكسرة مستعجلة خير من خبز مؤجلة ، وانما هي أكلة وميتة . وانما لك بياض نهارك أو سواد ليلك . ومن يتكفل لعاقل بالحياة الى قابل . واذا نزل الفيث

(١) سورة الحج ٤١/٢٢ .

(٢) سورة النساء ٥٨/٤ .

(٣) سورة الاععام ١٥٢/٢ .

فاملاً جبك ، وموتك شبعانا خير من موتك جائعاً .
فهل نفعت فلانا نصيحته وأغنته أمانته ، وقولهم
للواعظ اذا وعظ : اذا دخلت أنت الجنة فاغلق
الباب وراءك ، والحق الناس على الصراط خير من
أن تلقاهم بالسماط . في كثير من مثل هذا الكلام
من كلام السفلة والرعاع وأشباه الانعام .

وهذا باب لو تقصينا ما يدخله على الشرح
والتمام لطال فيه القول واتسع له اللفظ والكلام ،
ولكننا شرحناه بالمجمل من القول الذي يتفرع عند
التحصيل وينتج الفوائد عند طلب التأويل ، فاما
ما ذكرناه من قول رسول الله (صلى) من أن كل
امرئ راع مسئول عن رعيته ، كالعامل في
رعيته ، والرجل في أهله ، والمرأة في بيت زوجها ،
والعبد في مال سيده ، فهو كما قال الرسول صلى
الله عليه يجب على كل هؤلاء تأدية الامانة فيما
اثمن عليه ، وأن يبدأ في ذلك كما ذكرنا بنفسه ،
فقد قال الله تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها (١) » ، فلم يأمره عز وجل بأمر أهله بها الا
مع أمره هو باقامتها ، وهذا مما ذكرناه من البدء

(١) سورة طه ١٣٢/٢٠ .

بصلاح الانفس • وقال جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ف قيل يا رسول الله قد علمنا أننا نقي أنفسنا النار بأعمالنا الصالحات فكيف نقي منها أهالينا ؟ فقال : تعلمونهم أعمالكم الصالحة وتأخذونهم بها فتقوهم النار اذا عملوا بما أمركم بها •

وقال (صلح) : ان الرجل الصالح ليعلم به أهله الخير حتى يدخلهم الجنة فلا يفقد ممن كان في بيته في الدنيا معه الا هرة بيته • وقال : لا يزال الرجل انصالح يأخذ أهله وجيرته بالأدب الصالح ويعمل به حتى يدخلهم الجنة معه ، ولا يزال الرجل السوء يعمل السوء ويعلمه أهله وجيرته حتى يدخل النار ويدخلهم فيها معه •

ويروى عن بعض الصالحين أنه احتاج الى ثمن أمة سوداء كانت له باعها فاشتراها قوم ، وقد كان الذي باعها يقوم ويصلي من الليل ويقوم أهله فيصلون بصلاته حتى صار ذلك لهم طبعاً وعادة ، فلما باتت الأمة عند مواليتها الذين اشتروها قامت للعادة فصلت هدياً من الليل ، فلم تر أحداً منهم قام ، فقرعت الباب عليهم ، فانتبهوا وقالوا : مالك ؟

قالت : قوموا الى الصلاة ، فظن القوم أنهم أصبحوا
فقاموا فرجعت هي الى الصلاة ، فزأوا الليل فعادوا
فناموا ، فرجعت اليهم كذلك مرارا ، كل ذلك
تقيمهم حتى صاحوا عليها وقالوا : انك مجنونة ما
تعرفين الليل من النهار ، فلما أصبحت خرجت عنهم
وأنت مولاها تبكي فقالت : يا مولاي بعثني من قوم
لا يقومون الليل ، وهذا من سليم الأدب الصالح
وتلقين الخير وتعليمه والعمل به .

